إيبارشية المنيا وأبو قرقاص
للأقباط الأرثوذكس

تعرّف على
الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة

مكاريوس
الأسقف العام

إيبارشية المنيا وأبوقرقاص
للأقباط الأرثوذكس

تعرّف على
الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة

مكاريوس
الأسقف العام

اسم الكتاب : تعرف على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

المؤلف : الأنبا مكاريوس الأسقف العام بالمنيا

الطبعة : الأولى يونيو ٢٠١٠

المطبعة : دار نوبار للطباعة

الغلاف : ليفلز

العنوين الداخلية : بسطوروس

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٣٧٦٩ / ٢٠١٠

الترقيم الدولى : 1 - 9159 - 17 - 977



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الحبر الجليل الأنبا أرسانيوس
مطران المنيا وأبوقرقاص

مقدمة

وَدُعِيَ التَّلاَمِيذُ «مَسِيحِيِّينَ» فِي

أَنْطَاكِيَةَ أَوَّلاً. (أعمال ١١:٢٦)

الهوية هي حقيقة الشيء وتميُّزه عن غيره؛ من هو؟ .. من يكون؟. وتربط الهوية عمومًا بين الشخص والمكان والزمان، كما أن الهوية هي الذاتية والخصوصية، وهي القيم والمُثُل والمبادئ التي تشكّل الأساس للشخصية أو المجتمع. وهوية الفرد هي عقيدته، لغته وثقافته، حضارته وتاريخه، جنسه وعاداته وتقاليده. فالمكان هو البيئة التي تربّى فيها سواء منزلية، أو كنسية، أو مصرية (كوطن)، أوعربية (من حيث مجموعة البلاد التي لها روابط واحدة مثل اللغة والموقع، أو القضايا المشتركة، المناخ، الحضارة .. وتُسمّى أمّة).

بل إن الأسماء قد تشير للهوية، فيمكننا أن نلاحظ مثلاً أن الأسماء عند اليونانيين تنتهي بمقطع (يوس) فيقال: أنطونيوس، أمونيوس، باخوميوس، والأسماء التركية التي تنتهي بمقطع (آت) فيقال: رفعت، صفوت، بهجت، عفت، ثروت... الخ، والأسماء السوفييتية التي تنتهي بمقطع (اوف) مثل جورباتشوف، خروشوف، ميخائيلوف.. الخ، وإلى جوارهم بلاد مثل البوسنة وجورجيا وألبانيا والتي تنتهي الأسماء فيها بمقطع (اتش) ميسلوفيتش، كاراديتش... الخ، وإيطاليا حيث تنتهي الأسماء بمقطع (أو) أو (آه) ماركو، باولو، مادونا، كريستينا.

كذلك قد نستطيع معرفة هوية شخص من جهة الملامح أيضًا، فإن القسمات الأسيوية لها سمات تختلف عن الأفريقية سواء من جهة اللون أو القسمات، كذلك

الهنود، والأمريكان والأُسترال. وعندنا في مصر نجد أن ملامح النوبي غير الرشيدي والأسيوطي والسكندري. وهكذا الطباع نفسها ما بين كريم طيب، و بخيل قاسٍ؛ بلد تجارية وأخرى زراعية وثالثة صناعية، ومثلها الطقس أيضًا، وأشهر المحاصيل والمنتجات، مثلما تشتهر منطقة ما بنوع من الفاكهة... أو تُعرف بأنها مصدِّرة لمنتج ما...

ومن هنا تُحدَّد هوية مكان ما أو شخص ما من خلال هذه الصفات والعوامل، وفي المقابل هناك أشخاص ليست لهم هوية واضحة حيث يتنقّل ما بين ثقافة وأخرى، ومكان وآخر، ومبادئ إلى أُخرى... وقد يذهب أحيانًا إلى أكثر من ذلك حيث يمكن أن يغير شكله وأحيانا لون بشرته!. ومن هنا تأتي البطاقة الشخصية للشخص بمعنى "الهوية" لتربط بين عدة محاور تخصه، مثل: الاسم، السن، العمل، محل الميلاد، الحالة الاجتماعية.

والقبطي يجمع ما بين: الإيمان السليم، والعقيدة الأرثوذكسية السليمة[1]، يتمتع بالأسرار، يفخر بالتاريخ المقدس وشهدائه وقديسيه، وحب الرهبنة والأديرة، وحرارة العبادة، وحب النسك، وإكرام الكهنوت، وعراقة الأصل، وحب الوطن (الوطنية) ..

أمّا من جهة الملامح الخارجية فالقسمات فرعونية، ومبنى الكنيسة وشكلها من الداخل له الطابع القبطي المميز والذي تأثر بالعمارة الفرعونية أيضًا، وفي العبادة: الشمع والأيقونات والصلبان، وزي الكهنوت والشمامسة، والتسبيح والألحان، وكذلك البخور

---

(١) يختلف الأقباط الأرثوذكس مع الأرثوذكس الخلقيدونيين الذين يأخذون بما جاء في مجمع خلقيدونية، والذي انعقد عام ٤٥١م ليناقش توابع الهرطقة النسطورية، لا تعترف به كنيستنا القبطية لأن به تعابير غير دقيقة تميل للجانب النسطوري، كما تحامل مؤيدوه على القديس البابا ديسقوروس البابا الـ٢٥ ونفوه وشقُّوا الكنيسة نتيجة لسوء فهمهم.

والحنوط وتطييب الأجساد، حتى التعبيرات نفسها لها طابعها المميز عن التعبيرات الأخرى والعامة، مثل "حاللني"[٢] و"قدس أبونا"، "اذكرني في صلواتك"، "صلوات القديسين"..

هكذا احتفظت الكنيسة بهويتها رغم طول الزمان الذي تخطى الألفي عام، ورغم كل ما مرت به من أزمات ومتاعب. مَثلها في ذلك مَثل نهر النيل الذي ينبع من بعيد جدًا (البحيرات العظمى في إثيوبيا)، ويمتد مسافة ألفي كيلومتر تقريبًا حتى يصب في البحر المتوسط، هذا النهر وخلال مسيرته أحيانًا يكون ضحلاً وأحيانًا عميقًا، أحيانًا تكون مياهه صافية وأحيانًا مضطربة، سريعة في بعض الأماكن، وبطيئة في أخرى، ضيِّقًا أحيانًا ورحبًا ومتسع في أخرى، ولكن وعند أى نقطة خلال الألفي كليومتر هو هو "نهر النيل"[٣]...

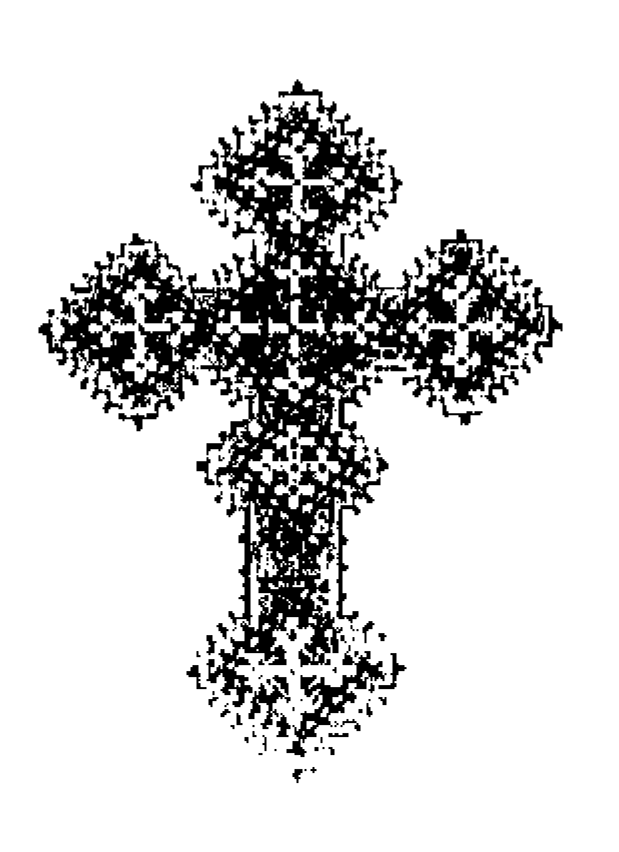
والشعب القبطي المحب للكنيسة له "حسٌّ قبطي" بحيث يستطيع بسهولة أن يكتشف هوية المتكلم، ويرفض ما هو غريب عن هويته، مثل أن يشعر البسطاء منهم بأن هذا الواعظ فكره ليس قبطيًا، وإذا سألته عن السبب قد لا يستطيع تحديد عبارة بعينها تثبت فساد فكره، ولكنه بشكل عام أدرك أنه غريب عن الكنيسة. ومن بين الدلائل على الحس الكنسي واللاهوتي عند الشعب التفاعل الشديد مع الأحداث، مثل محبتهم للنسك، للأديرة، اتشاح الناس بمسحة من التقوى والتأثر والنسك خلال أسبوع الآلام... ثم الفرحة العارمة التي تغمرهم عند قيامة المسيح، واستقبالهم للأيقونة التي تمر

---

(٢) لفظة "حاللني": جاءت الكلمة من مفهوم سلطان الحل والربط الذي وهبه السيد المسيح للآباء الرسل ولخلفائهم من رجال الكهنوت.

(٣) لاحظ أن سيرة الكنيسة القبطية أيضًا هي ألفا عام منذ جاء مارمرقس وحتى اليوم.

بينهم أثناء الدورة الاحتفالية.. إنه شبعان من دسم الكنيسة، نشأ فيها ورضع من لبنها واكتسب نكهتها[٤]...



(٤) يرد في التاريخ الحديث أن أحد الكاردينالات في روما حاول في عظته التقليل من شأن القيامة مركزًا على الميلاد، فإذا بأحد أفراد الشعب يعترضه ثم يلتفت إلى الشعب هاتفاً بهم: "خريستوس آنستي"، فتهتز الكاتدرائية بكامل من فيها: "آليثوس آنستي"؛ هذا هو الحس الشعبي الذي لا يخطيء متى تربى وشبع من دسم الكنيسة.

سُميت بلادنا في البداية من الشعوب السامية بـ"**مصر**" أي "الحدود"، بينما أسماها المصريون أنفسهم "**كيمي**" أي "الأرض السوداء"، أمّا الأشوريون فقد أسموها "**ها كوبتاح**" أي "بيت روح بتاح" وهو اسم عاصمة المملكة، ونطق اليونانيون الاسم "**آيجيبتوس**" ومنها "إيجيبت" *Egypt*، و"قبط" *Copt*.

بعد حكم الفراعنة والذي استمر لآلاف السنين جاء الحكم البطلمي سنة ٣٣٣م، بعد الإسكندر الأكبر، واستمر لثلاثمائة سنة استوطن فيها الكثير من اليونانيين مصر، وانتعشت الأسكندرية كأكبر مركز للثقافة والتجارة والفنون في العالم القديم، ولعل أعظم ما تم في هذا العصر هو الترجمة السبعينية للكتاب المقدس، والتي تُعد الترجمة المعمول بها في الكنيسة القبطية.

ثم جاء الرومان (٣٠ ق.م – ٣٩٥م) وغلبت عليهم القوة أكثر من الثقافة والفنون، بل واضطهدوا الأقباط أشد الاضطهاد، لا سيما في عصر دقلديانوس والذي اتخذت الكنيسة من سنة توليه العرش (٢٨٤م) بدءًا لتقويمها الخاص، حيث قدمت أكبر عدد من الشهداء. ثم تولي قسطنطين وأنهى الاضطهاد بمرسوم التسامح الديني (منشور ميلان ٣١٣م)، وبعد ذلك بدأ العصر البيزنطي والذي انتهي بدخول العرب مصر(٣٩٥-٦٤١م).

يبدأ تاريخ الكنيسة القبطية بدخول القديس مرقس إلى الأسكندرية سنة ٦١م حيث تقابل مع أنيانوس الذي قبل الايمان بعد معجزة، وبعد أن بشّر في مصر أقام أنيانوس أسقفًا على الأسكندرية، وأصبحت الأسكندرية الكرسي الرسولي الثالث (من

حيث القدم) بعد أورشليم وأنطاكية، وتبعها كرسي روما، ثم كرسي القسطنطينية. وسُمي كرسي الأسكندرية بكرسي ما مرقس، وهو أول شهيد للكنيسة القبطية.

وقد جلس على الكرسي المرقسي من الباباوات مائة وسبعة عشر؛ أولهم القديس مار مرقس والحالي قداسة البابا شنوده الثالث، البطريرك المائة والسابع عشر. وتراوحت فترات جلوس الباباوات على الكرسي من عدة شهور مثل البابا سيمون الثاني (٨٣٠-٨٣٠)، إلى ثلاثة وخمسين عامًا مثل البابا كيرلس الخامس (١٨٧٤-١٩٢٧).

وتعرضت مصر لأعنف اضطهاد شهده المسيحيون في العالم، ولكن هذا الاضطهاد قدم لمصر وللمسيحية سحابة ضخمة من الشهداء كانوا أساسًا قويًا للكنيسة في مصر، بل كان الاستشهاد هو سمة كنيسة مصر خلال القرون الثلاثة الأولى، وإن كان ما يزال مستمرًا حيث آخر شهداء قدمتهم الكنيسة هم شهداء نجع حمادي الستة الذين قُتلوا ليلة عيد الميلاد ٢٠١٠م.

وقد شرُفت مصر وتباركت بزيارة العائلة المقدسة لها حيث أمضت ما يزيد على الثلاث سنوات فيها، وتمت بذلك النبوة الخاصة في إشعياء ١٩: ١٩ «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي وَسَطِ أَرْضِ مِصْرَ، وَعَمُودٌ لِلرَّبِّ عِنْدَ تُخْمِهَا». كما ذُكرت مصر كثيرًا في الكتاب المقدس، فقد عاش بنو إسرائيل فيها قرابة الأربعة قرون، ومن فم الرب نفسه «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي» (هوشع ١١: ١)، و«مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرُ» (إشعياء ١٩: ٢٥)، وغيرها من البركات والنبوات الخاصة بمصر.

وبداية من القرن الرابع بدأت الرهبنة في التبلور في جماعات منظمة بدأها القديس أنطونيوس (في البرِّية الشرقية)، وتبعه القديس مقاريوس (في الإسقيط / وادي النطرون)،

والقديس باخوميوس (في الصعيد الأعلى)، ثم القديس الأنبا شنوده (في سوهاج وأخميم)، وامتلأت صحاري مصر بمئات الألوف من من الرهبان والراهبات، ومن مصر انتقلت الرهبنة إلى جميع بلاد العالم.

هذا وقدمت مصر أعظم الآباء اللاهوتيين والمدافعين عن الإيمان مثل القديس ديديموس الضرير، والعلامة أوريجانوس، والبابا أثناسيوس، والقديس كيرلس. وكذلك قدّمت العلماء مثل العلامة بنتينوس، وأثيناغوراس، وكليمندس السكندري وغيرهم كثيرون، هؤلاء كلهم خريجو مدرسة الأسكندرية (والتي أنشأها مارمرقس)، لدرجة أن الإيمان السليم كان يُنسب إلى هؤلاء فيُقال: إيمان أثناسيوس أو إيمان كيرلس. وهكذا كانت مصر هي الحصن الحصين ضد البدع والهرطقات في العالم كله، وترأس آباؤها أهم المجامع المسكونية. كما اتفقت جميع الكراسي الرسولية على أن تقوم مصر بتحديد موعد عيد الفصح؛ فيرسل بطريرك مصر الرسائل الفصحية سنويًا والتي كانت تحمل أيضًا الدفاع عن الإيمان تجاه ما يجدّ من هرطقات. كما يُحسب للأقباط وضع "حساب الأبقطي" على يد البابا ديمتريوس الكرام (في القرن الثالث الميلادي)، وأُسند إلى الأقباط تحديد عيد الفصح في كل عام وذلك من خلال الرسائل الفصحية التي كانت كنيسة الأسكندرية تبعث بها سنويًا إلى جميع كنائس العالم في ذلك الوقت.

بل إن هناك الكثير من الشخصيات القبطية التي صنعت تاريخ الكنيسة جمعاء في الشرق والغرب مثل البابا أثناسيوس والبابا كيرلس عمود الدين والبابا ديوسقورس، والقديسين أنطونيوس ومكاريوس وباخوميوس وغيرهم. كما أُعتُبرت مدرسة

الأسكندرية أقدم وأهم مدرسة لاهوتية وفلسفية وعلمية تتلمذ عليها أعاظم الآباء في مصر وخارجها.

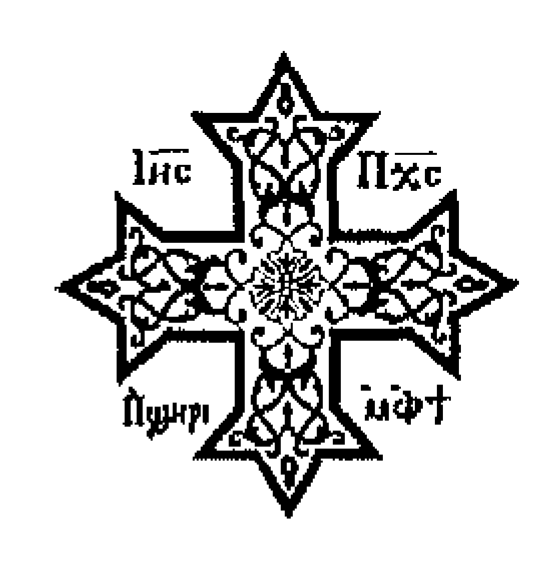
وقد قام الأقباط بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة القبطية في القرن الثاني الميلادي، وعُثر على نسخة من العهد الجديد باللغة القبطية في منطقة البهنسا ترجع إلى القرن الرابع.

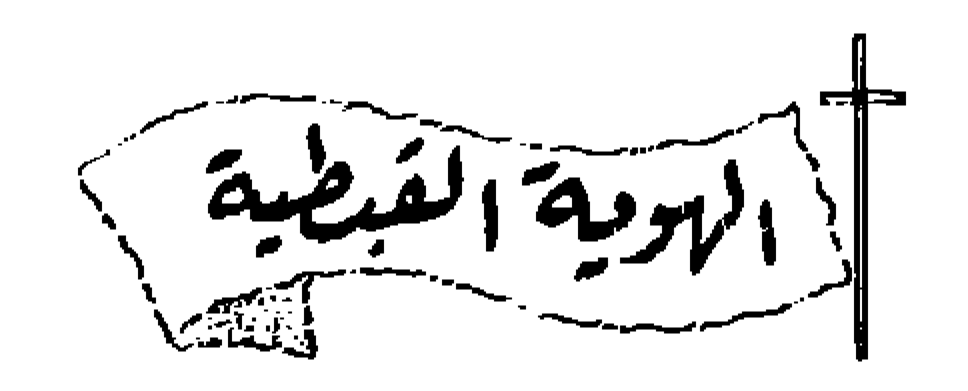
وبعد مجمع خلقيدونية (٤٥١م) – والذي رفضت الكنيسة القبطية قراراته – عانت مصر كثيرًا من الحكام ذوي الإيمان الخلقيدوني، والذين فرضوا بدورهم أساقفة فاسدي الإيمان استولوا على كنائس الأقباط واضطهدوهم، حيث استمر ذلك حتى دخول العرب مصر. وقد أظهر العرب ترفقًا بالأقباط في بادئ الأمر، ولكن سرعان ما تتابع على مصر ولاة كانوا من القسوة والعنف ذاق معها الأقباط ألوانًا من الذل والهوان؛ بسبب الضغط العقائدي من جهة، وضغط الجزية من جهة أخرى، وإعمال القتل والتعذيب والترهيب وقطع الألسنة والرقاب، بدءًا من البطاركة الذين أُهين الكثير منهم ما بين السجن والتعذيب، الى أفراد الشعب العاديين. وفي هذا السياق تم إلغاء اللغة القبطية كلغة رسمية للبلاد، وهُدمت الكثير من الكنائس، وتخرّب الكثير من الأديرة، ومات من مات من الأقباط، وأسلم من أسلم، وهرب من هرب. وتبقّى في مصر القادرون على دفع الجزية، والتي كانت تزيد يومًا بعد يوم للوفاء بمطالب الخليفة. وهكذا ومنذ بداية الألفية الثانية للميلاد تغيرت التركيبة السكانية في مصر، حيث تناقص عدد المسيحيين مقابل المسلمين.

لكن بين الآن والآخر كان يظهر أحد الولاة الرحومين يرفع الظلم عن الأقباط، فيقرّب إليه بعضهم، ويخصهم بوظائف كبيرة في الدولة. وشهد القرن التاسع عشر تحسنًا

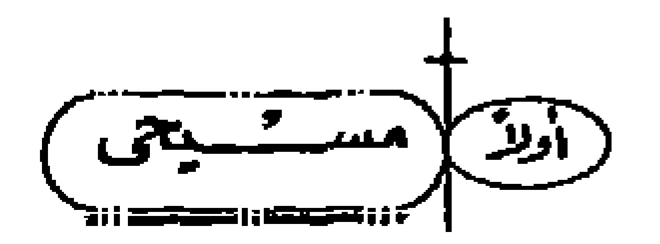
في وضع الأقباط في حكم محمد علي وخلفائه، فقد ألغى سعيد باشا الجزية المقررة عليهم سنة ١٨٥٥م، وسُمح للأقباط بالالتحاق بالجيش. وفي ثورة سنة ١٩١٩م وقف الأقباط مع المسلمين يساندون سعد زغلول، ولا شك أنه منذ ثورة ١٩٥٢م تحسنت أوضاع الأقباط وإن كانوا ما يزالون يعانون بشدة إلى الآن بسبب القيود الشديدة المفروضة على بناء الكنائس وترميمها، منتظرين أن يصدر قانون البناء الموحد لدور العبادة.

تجدر الإشارة إلى أن الأقباط ليسوا أقلية كما يدّعي البعض، فالأقلية هم جماعة لها عادات وتقاليد خاصة، وكذلك أزياء وأماكن سكنى، وحياة اجتماعية خاصة، وحِرف كذلك. ولكن الأقباط أقل في عددهم فقط، والذي يصل إلى خمسة عشر مليونًا من مجموع سكان مصر البالغ الآن ثمانين مليونًا.





القبطي هو: مسيحي، أرثوذكسي، لا خلقيدوني، قبطي (أي مصري)، وأتذكّر أن أسقفًا قبطيًا عندما يرغب في تعريف نفسه في المطار أو لمن يسأله من الأجانب، فهو يقول إنه: "أسقف مسيحي أرثوذكسي قبطي" *Christian Orthodox Coptic Bishop*... ربما لأن البعض قد لا يدرك أن هناك مسيحيين في مصر، وربما كانت كلمة أرثوذكسي لها مدلول التشدّد أو التعصب عند الغربيين (مثلما نقول يهودي أرثوذكسي) ... أما عن سمات أو هوية القبطي فيمكن تحديدها من الآتي:



لفظة "مسيحي" تعني أنه منسوب للمسيح، دُعي عليه اسم المسيح. والمسيحي هو غير اليهودي وغير البوذي وغير المسلم؛ إنه تصنيف أولي، من حيث أنه تابع للمسيح، فيه صفات المسيحي؛ فالله خلق الانسان على صورته (تكوين ١: ٢٧). وعندما يولد إنسان تسرع الكنيسة إلى بيته لتهنئه بسلامة الوصول ثم تدعوه ليولد من بطن الكنيسة، الأم التي تلد بنين لله، وعندما يتقدم إلى المعمودية تستخلصه الكنيسة من مملكة الشيطان الذي استحوذ على الانسان بعد السقوط، فالانسان كان أولاً في معية الله ولكنه رفض معية الله، ولذلك عندما قبلت كنيسة الرسل الداخلين إليها من الأمم (الوثنيين) أوصت بالاهتمام بهم واصفة إياهم "بالراجعين الى الله": «لِذلِكَ أَنَا أَرَى أَنْ لاَ يُثَقَّلَ عَلَى

الرَّاجِعِينَ إِلَى اللهِ مِنَ الأُمَمِ» (أعمال الرسل ١٩:١٥)، وكأن الولادة من المعمودية هي ولادة تصحيحية.

وقد خلق الله الانسان على صورته في القداسة والبر، وهو محبوب منه، بل إنه الخليقة المدلَّلة لديه، فالله هو القائل: «وَلَذَّاتِي مَعَ بَنِي آدَمَ» (أمثال ٨ : ٣١)، فلما خرج الإنسان من حضرة الله، تاه في الوثنية والشرور، وبدأ الله رحلة البحث عنه وفدائه وتجديده...

والمسيحي يؤمن بـ :

أ- الله الخالق:

وذلك بحسب ماورد في (تكوين ١:١): «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ». وفي إنجيل القديس يوحنا كذلك: «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ» (يوحنا ٣:١)، وفي (مزمور ٥:١٤٨) «لأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ». وقد وضعت الكنيسة هذه العقيدة في قانون الإيمان: "خالق السموات والأرض، ما يُرى وما لا يُرى"، وكذلك في بقية ليتورجياتها[٥]، حيث يرد في صلاة القداس الالهي: "الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها".

والكتاب المقدس هو أصدق وأقدم وثيقة تؤكد أن خالق كل الأشياء هو الله، ويقول القديس بولس الرسول إنه يمكن إدراك وجود الله من خلال خليقته: «لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ» (رومية

---

(٥) الليتورجيا هي كلمة يونانية تعني العمل الجماعي (لاؤس = شعب أو جماعة، إرجوس = عمل). وقد أُستُخدمت في الترجمة السبعينية لتشير للخدمة في الهيكل اليهودي، ومن ثمّ استخدمتها الكنيسة لتشير للصلوات الطقسية وعلى الأخص القداس الإلهي.

٢٠:١). وهكذا من خلال الكتاب يمكننا أن نتابع قصة الله مع الإنسان، من خلق وسقوط وفداء بالتجسد والصلب والقيامة، إلى المجيء الثاني والدينونة.

ب- الله السرمدي:

أي أنه أزلي أبدي، لا بداية أيام له ولا نهاية، حسبما يرد في سفر الرؤيا إذ يقول الرب عن نفسه: «أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ... لاَ تَخَفْ، أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ» (رؤيا١:٨،١٧). وعندما عَرّف الله نفسه لموسى قال: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ»، و"أهيه" أو "يهوه" تعني: "الذي كان، والكائن، والذي يأتي"، وهي تساوي في لاهوت العهد الجديد "سرمدي". ويفتتح القديس يوحنا الحبيب إنجيله قائلاً: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ» (يوحنا ١:١)، ويقول داود النبي: «إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ سِنُوكَ. مِنْ قِدَمٍ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ هِيَ تَبِيدُ وَأَنْتَ تَبْقَى ... وَأَنْتَ هُوَ وَسِنُوكَ لَنْ تَنْتَهِيَ.» (مزمور١٠٢:٢٤-٢٧)، انظر أيضًا (عبرانيين ١:١٠-١٢). وهكذا لا يتغير الله ولا يتطور، لأن ذلك ضد السرمدية، كما يرد في الكتاب المقدس أنه الإله الأزلي السرمدي، الذي له وحده عدم الموت، بحسبما يشرح بولس الرسول: «الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ، الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الأَبَدِيَّةُ. آمِينَ.» (تيموثاوس الأولى ٦ : ١٦).

ويقول القديس بولس أيضًا: «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ.» (عبرانيين ٨:١٣)، وكتب القديس يوحنا للكنائس السبع: «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ الْكَائِنِ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي» (رؤيا ٤:١)؛ هذا في الاتجاه الرأسي أو من جهة الزمن، أما في الاتجاه الأفقي أو الجغرافي فهو:

ج- الله غير المحدود:

لا يخلو منه مكان، مالئ الكل، ونقول عنه في القداس الغريغوري: "غير المُحوى، غير المبتدئ، الأبدي، غير الزمني، الذي لا يُحد". وعن ذلك يعبّر داود النبي قائلاً: «أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ، فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ» (مزمور ١٣٩:٧-١٠). وعدم محدودية الله تؤكد أنه الإله الوحيد.

د- الله الذي تجسد وفدانا:

خالف آدم وصية الله فطُرد من جنة عدن، وورث بنوه هذه الخطية وهذا الفساد والميل للشر، ودخل الموت والمرض فيهم، وتسلطت عليهم الشياطين، وتمردت الطبيعة نفسها عليهم. ولم يشأ الله أن يهلك آدم وذريته وإنما قرر أن يخلصهم؛ وجاء المسيح متجسدًا في ملء الزمان، بعد تمهيد طويل وإشارات، ورموز ونبوات، وتطوّر تدريجي بالإنسان في اتجاه العمل الفدائي العظيم[٦].

وقد ورد عن حَنَّة النبية أنها تحدثت عن الطفل يسوع مع جميع المنتظرين فداءً في إسرائيل، وكذلك تهلّل سمعان الشيخ عندما حمل الطفل يسوع على ذراعيه قائلاً: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ

---

(٦) عبّر العهد الجديد عن هذه الحقيقة؛ أن إعلانات الله قديمًا للآباء والأنبياء جزئية يكمّل بعضها بعضًا في قوله: «اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَبِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ» (عبرانيين ١:١)، فوحي وإعلانات الله تدريجية جزئية للآباء، وكاملة ونهائية حين أتى الله نفسه — لا وحيه — في شخص المسيح الفادي.

قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ» (لوقا ٢:٢٩-٣٢). وسُمِّي موعد ميلاد المسيح "ملء الزمان": «وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ» (غلاطية ٤:٤). وفي القداس الإلهي نصلي: "وفي آخر الآيام ظهرتَ لنا نحن الجلوسَ في الظلمة وظلال الموت"[٧]. كما صرّح السيد المسيح علانية قائلاً: «لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لوقا ١٩: ١٠).

وثار اليهود عليه، إذ توقَّعوا مخلصًا عسكريًا وسياسيًا يخلصهم من نير الرومان، فقبضوا عليه وسلموه إلى الرومان، الذين أمروا بصلبه، رغم أنهم لم يجدوا فيه علَّة تستوجب الموت – وكان ذلك بتدبير منه – رغم أنه بلا خطية «كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ» (بطرس الأولى ١:١٩)، ومات على الصليب، ودُفن، ولكنه قام – كما قال – في اليوم الثالث: «اَلَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ» (أعمال الرسل ٢:٢٤).

وتُعتبر القيامة هي العمود الفقري للمسيحية، فلم يكن ممكنًا أن يموت المسيح دون قيامة، فهي ختم الخلاص[٨]، وإن كنّا نفتخر بالصليب فإن القيامة ظاهرة في الصليب، كما ظهر الصليب في القيامة، فهو مصلوب قائم (في وضع القائم)، ولما قام ظهرت آثار الصلب فيه (لوقا ٢٤: ٣٩، ٤٠، ويوحنا ٢٠: ٢٧)، لذلك فهو الحمل القائم مذبوحًا...

---

(٧) قداس القديس باسيليوس، صلاة "قدوس قدوس".

(٨) القيامة بها تثبَّتنا وتأكدنا أن المسيح هو الله كقول الكتاب في رومية ١: ٤ «تَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ: يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا». حيث تعيَّن تعني: تثبَّت – تأكَّد – تبيَّن. فالقيامة هي البرهان والتأكيد والتبيان على لاهوت المسيح، إذا أقام نفسه من الموت.

هـ- صعود المسيح إلى السماء:

مكث السيد المسيح أربعين يومًا يظهر لتلاميذه، يشجعهم ويسلمهم أسرار ملكوت السموات، ويؤسس الأسرار الكنسية[٩]، ثم وعدنا بأن يعدَّ لنا مكانًا، ثم يأتي ليأخذنا، وحيث يكون هو سنكون نحن معه: «وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا» (يوحنا ١٤:٣)، ثم صعد قدامهم إلى السماء: «وَلَمَّا قَالَ هذَا ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ.» (أعمال ١: ٩).

و- الله الديّان:

في نهاية الأيام سيأتي المسيح على السحاب ويجمع إليه جميع البشر؛ الأموات يقومون، والأحياء يتغيّرون ويتحوّلون إلى تلك الصورة التي سنحيا عليها إلى الأبد، هناك من سيخلد في العذاب وهناك من سيخلد في المجد، وعن ذلك يقول الرب نفسه: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ ... لاَ تَتَعَجَّبُوا مِنْ هذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ.» (يوحنا ٥: ٢٤-٢٩). وتتذكر الكنيسة هذه الحقيقة عدة مرات في اليوم في قانون الإيمان: "وأيضا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات" كما يرد

---

(٩) يقول سفر أعمال الرسل (١: ٣): «اَلَّذِينَ أَرَاهُمْ أَيْضاً نَفْسَهُ حَيّاً بِبَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ بَعْدَ مَا تَأَلَّمَ وَهُوَ يَظْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْماً وَيَتَكَلَّمُ عَنِ الأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ»، الأمور المختصة بملكوت الله هي: شرح النبوات المختصة به في العهد القديم، الأسرار، كيفية تأسيس الكنائس .... إلخ

في القداس الإلهي[١٠]:"وحدّد يومًا للمجازاة، هذا الذي يظهر فيه ليدين المسكونة بالعدل، ويجازي كل واحد فواحد كحسب أعماله"؛ وهناك عذاب أبدي للأشرار مثلما هناك مجد أبدي للأبرار.

وأما جسد القيامة فسيكون جسدًا ممجّدًا لا يجوع ولا يفنى، وبالتالي سيكون عذاب الاشرار أشد إيلامًا مما لو كان الجسد ماديًا فيفنى في دقائق. وتذكّر الكنيسة أولادها يوميًا ليكونوا مستعدين لذلك اليوم، وذلك من خلال صلوات الأجبية في قطع صلاة النوم: "هوذا عتيد أنا أن اقف أمام الديان العادل..".

ز- الثالوث القدّوس:

نؤمن بالله الواحد في الثالوث، ومثلما نتحدث عن وحدانية الثالوث، فإننا نتحدث أيضًا عن الله المثلث الأقانيم، فإذا لم نثبت أن الأقانيم الثلاثة لها جوهر واحد مع تمايزها من جهة الصفات الأقنومية، نكون بذلك ننادي بتعدد الآلهة، وإذا لم نؤكد أن الله الواحد هو ثالوث نكون بذلك نتكلم عن صنم؛ ولكن الله موجود ويتكلم وحيٌّ. فالوجود أو الأصل هو "الآب"، والكلام هو "اللوغوس" أو "كلمة الله"، و"الروح القدس" هو الحياة، ونرتل في صوم الرسل: "ثالوث في واحد، وواحد في ثالوث. الآب والابن والروح القدس". وأول شيء يتعلمه الطفل في البيت والكنيسة هو عقيدة الثالوث من خلال رشم الصليب، ففيه شرح للثالوث، وفيه اعتراف مبكر جدًا بالله من جهة طبيعته وأقانيمه الثلاثة، لذلك تبدأ جميع صلوات الكنيسة برشم الصليب، كذلك كل عمل ومع كل خطوة، كما تنتهي صلوات الكنيسة كلها بذكر الثالوث وتمجيده.

---

(١٠) قداس القديس باسيليوس، قطعة "وقام من بين الاموات".

والثالوث لم تخترعه الكنيسة لا من خلال الآباء ولا المجامع، ولكنه حقيقة أعلنها لنا الله نفسه، والسيد المسيح نفسه أوصى تلاميذه بخصوص الأمم قائلاً: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ» (متى ١٩:٢٨)، ويُلاحظ أنه قال عمدوهم "باسم" وليس "بأسماء"، كما أن القسمة في القداس الإلهي تقول: "ردَّنا إلى الإيمان الحقيقي بالثالوث القدوس"؛ أي أن الإيمان الحقيقي في البداية كان بالثالوث، فلمّا تاه الناس في دروب الوثنية وعبدوا آلهة كثيرة، استخلصهم الله من بين تلك الشعوب من خلال الوحدانية أولاً: «اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ» (تثنية ٤:٦، مرقس ٢٩:١٢)، وهكذا تدرّج معهم حتى أدركوا الإيمان الثالوثي.



ولكن المسيحية منها شيع وطوائف عديدة (بسبب الحرية التي أعطاها الله للبشر حتى أنكر البعض وجوده)، فهناك الكنائس التقليدية أو الرسولية التي أسسها الرسل مثل الكاثوليك والروم (وتتميز بأصالتها، وهذه الكنائس نختلف معها لأنها أدخلت تفاصيل على الإيمان غير دقيقة)، وهناك الكنائس التي يُطلق عليها الإصلاحية (مثل البروتستانت، وعنها تفرعت عشرات الطوائف)، وهناك شهود يهوه والأدفنتست والمورمون وعبدة الشيطان، وغيرهم ممن لا يُعدّون مسيحيين، رغم أنهم يصنّفون أنفسهم كمسيحيين. هذا وقد ظهرت العديد من البدع والهرطقات منذ السنين الأولى بعد صعود

السيد المسيح، حيث بدأت بمشكلة التهوّد[١١]، ثم بدعة التشبيهين[١٢]، وأتباع المعمدان، حتى وصلت إلى الذروة ببدعة آريوس، بدأت جذور هذه البدعة في القرن الثالث لتظهر بقوة في أوائل القرن الرابع. ولقد قاوم الرسل ومن بعدهم الآباء الرسوليون والمدافعون تلك الهرطقات بكل قوة الروح القدس والمنطق، وحذروا من التعامل مع الهراطقة أو حتى قبولهم في بيوتهم، فقال القديس يوحنا: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِيكُمْ، وَلاَ يَجِيءُ بِهذَا التَّعْلِيمِ، فَلاَ تَقْبَلُوهُ فِي الْبَيْتِ، وَلاَ تَقُولُوا لَهُ سَلاَمٌ» (يوحنا الثانية ١:١٠).

وأما الأرثوذكسية فهي تأتي من اللفظة "أرثوذكس" بمعنى "الرأي المستقيم"، ولذلك لا تُعتبر الأرثوذكسية طائفة مثل بقية الطوائف، ولكنها صفة الاستقامة لمسيحية جماعة أو فرد، ومن هنا يمكن للقبطي أن يقول أن "مسيحيتي أرثوذكسية". هذا وقد كانت المسيحية أرثوذكسية منذ اللحظة الأولى، فقد سلمنا المسيح جسدًا لا أجسادًا، وعندما اختار الموت بالصليب كان من بين رموز الصليب ألا يُكسر عظم من عظام المسيح المصلوب وألا تنفصل الرأس عن الجسد، في إشارة إلى رغبة السيد المسيح في أن تكون الكنسية مرتبطة به غير منفصلة عنه، وكذلك ألا يكون فيها شقاق ولا تفتيت.

---

(١١) التهود: بدعة قضت بوجوب أن يسلك الداخلون للمسيحية من الأمم بحسب ناموس اليهود أولاً ويراعوا الختان والعوائد اليهودية. وقد رفض الرسل هذا التعليم في مجمع أورشليم (٥٠م)، كما قاومه بولس الرسول كثيرًا فر رسائله. (راجع أعمال الرسل ١٥، والرسائل إلى رومية وغلاطية).

(١٢) التشبيهيون: عقيدة غنوسية وثنية رأت أن المسيح كانت له تعاليم سرية خفية لبعض الرسل بعد قيامته، وهي ترى أن المسيح إله طيب بعثه الإله الأصلي بدلا من إله اليهود، ولم يكن له جسد حقيقي مادي بل كان شبحًا لا يملك إنسانية حقيقية، وبالتالي رفضت هذه البدعة الوثنية صلب المسيح، ونادوا بفكرة الشبيه قبل أن ينادي بها آخرون. هذا وقد قاومت الكنيسة أفكارهم وردت على هذه البدعة الوثنية.

وعندما ظهر آريوس ونادى بأن أقنوم الابن أقل من الآب وأنه مخلوق، قاومته الكنيسة كلها، وعندما ظهر أبولونيوس ببدعته والتى مفادها أن اللاهوت حل محل الروح الإنسانية أكدت الكنيسة أن ناسوت المسيح كامل وأنه أخذ بشريتنا ليخلصنا، ومثله أيضا مقدونيوس عدو الروح القدس، والذي نادى بأنه مخلوق ولكن الكنيسة قاومته مؤكدة أنه أحد الأقانيم الثلاثة، مساوٍ للآب والابن، ثم ظهر نسطور ليدَّعي أن المسيح كانت له طبيعتان منفصلتان دون اتحاد حقيقي جوهري، مجرد مصاحبة ومشاركة للطبيعتين فقط[١٣] وأن اللاهوت كان يصاحب الناسوت فقط، وقد أكَّدت الكنيسة أن للسيد المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين، وأن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين، ثم جاء أوطاخي ليقع في بدعة جديدة – في سياق مهاجمته لنسطور – وهي أن الطبيعة الالهية ابتلعت الناسوتية مثل نقطة خل في محيط، وقد رفضت الكنيسة هذا الفكر مؤكدة أن الطبيعتين موجودتان، كلٌّ بكامل خصائصها في اتحاد مع الأخرى بوحدانية لا يُعبَّر عنها، وأن السيد المسيح جعل ناسوته واحدًا مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا استحالة. هكذا وبدون حرص حاول الواحد تفنيد بدعة السابق فوقع في بدعة أخرى، فقد أنكر آريوس مساواة المسيح مع الأب، أما نسطور فقد حاول تفنيد بدعة آريوس فسقط في بدعة أخرى مفادها أن المسيح كان إلهًا في بعض الأحيان وإنسانًا في أحيان أخرى، ومن هنا رفض تعبير الثيئوتوكس أي أن القديسة مريم هي والدة الإله، أما أوطاخي فانزلق في بدعة أخرى وهي ذوبان الناسوت في اللاهوت.

---

(١٣) ينادي نسطور بوحدانية الطبيعتين (الإلهية والإنسانية) القائمة على المصاحبة والمشاركة فقط وليس اتحادًا حقيقيًا جوهريًا كيانيًا.

ومن ثَمّ حدث شقاق في مجمع خلقيدونية (٤٥١م)، حيث أُتُهم الأقباط بأنهم أوطاخيون؛ ولكن الأقباط رفضوا الأوطاخية ونادوا بطبيعة واحدة من طبيعتين مستخدمين تعبير "ميا فيزيس تو ثيئو لوغو سي ساركوميني" أي "طبيعة واحدة للإله الكلمة المتجسد"، الذي علّم به القديس كيرلس الكبير، بينما رفضوا تعبير (مونوفيزيس) لأنه أوطاخي. هكذا رفضت الكنيسة القبطية فكر آريوس ونسطور وأطاخي ومقدونيوس.

ومنذ ذلك الوقت (مجمع خلقيدونية ٤٥١م) أصبح هناك عائلتان أرثوذكسيتان: الأولي لا خلقيدونية (وتشمل الكنائس القبطية والسريانية والأرمينية والأثيوبية والإريتيرية والهندية)، والثانية خلقيدونية وتشمل (الروم الأرثوذكس ودول الاتحاد السوفيتي السابق ولبنان، ورومانيا وبلغاريا)[١٤]، ولذلك يُقال "قبطي أرثوذكسي"، حيث أن التعبير "أرثوذكسي" فقط قد يعني خلقيدوني أو غير خلقيدوني، كما أن التعبير "قبطي" وحده لا يكفي لأن هناك الآن كاثوليك يطلقون على أنفسهم "أقباط كاثوليك"، حيث أن كلمة قبطي تعني مصري لغويًا (كما أسلفنا).

القبطي الأرثوذكسي: في الأيام التي تلت مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م وحتى الفتح العربي لمصر سنة ٦٤٠م، عانى الأقباط كثيرًا، حيث سلب الآريوسيون والخلقيدونيون

---

(١٤) الكنيسة الكاثوليكية جزء من هذه العائلة، ولكن حدث انشقاق بينها وبين الكنائس الخلقيدونية الأخرى في القرن الحادي عشر نتيجة مناداة الكاثوليك بانبثاق الروح القدس من الآب والابن، ورئاسة بابا روما على كل الكنائس الأخرى. وجدير بالذكر أن كلا العائلتين الأرثوذكسيتين (الخلقيدونية واللاخلقيدونية) رفضتا هذه التعاليم.

الكثير من الكنائس القبطية، كما وُجد كثير من الأساقفة والكهنة الهراطقة في مصر، وكان ذِكر الكنيسة والأسقف هو الذي يحدّد إن كان الكاهن هرطوقيًا من عدمه، لذلك تتكرر "أوشية السلام" (اذكر يارب سلامة كنيستك الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية) و"أوشية الآباء" (اذكر يارب رئيس كهنتنا البابا أنبا ... وشريكه في الخدمة الرسولية أبانا الأسقف الأنبا ...) وذلك لمرات عديدة في الصلاة حتى يتأكد الموجودون من إيمان الكاهن وهويته. جدير بالذكر أيضًا أن كلمة كاثوليكية كانت تُطلق على الكنيسة الأولى، ليس بالمعني الحالي الآن، ولكن بمعناها الحصري أي "الجامعة"، كما أنها كنيسة "إنجيلية" بمعنى أنها ترتكز على الإنجيل بالدرجة الاولى.



الكنيسة الأرثوذكسية – سواء الخلقيدونية أو اللاخلقيدونية – هي كنائس رسولية، أى ترجع جذورها لأيام الرسل، وكذلك فهي تؤمن بالأسرار الكنسية والأصوام والقديسين والرهبنة... وغيرها.

التسليم الرسولي

الكنيسة القبطية كنيسة رسولية تقليدية، حيث يُعتبر التقليد والتسليم الرسولي هو المذكرة التفصيلية للكتاب المقدس، بل يمتد حبل التقليد إلى آدم والآباء الأُوَل. وفي العهد الجديد شرح السيد المسيح لتلاميذه الكثير من الأمور، وهؤلاء بدورهم سلموها لمن بعدهم، وفي القرون الأولى دُونت كتب في ذلك مثل الديداكية (٨٠- ٩٠م) وقوانين الرسل[١٥]، **بل إن التقليد نفسه سلمنا الكتاب المقدس، والذي بدوره يضبط التقليد**، أي أن كل تقليد يخالف الكتاب لا يمكن قبوله، كما سلمنا التقليد الكتاب المقدس وتفسيره، ولم يخترع أحد التفاسير والعقائد، ولم تُترك الساحة لكل مجتهد ومفتي مما يزيد من الشيع والطوائف، يقول القديس بولس: «لأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضًا» (كورنثوس الأولى ١١:٢٣)، ولذلك فنحن نرجع إلى الآباء لنعرف سلامة التفسير من خلال الكنوز الثمينة التي تركوها لنا. هذا التعليم والتسليم الواحد جعل في الكنيسة فكرًا واحدًا، ومن ثَمَّ أمكن للكنيسة أن تظل متماسكة «وَأَمَّا أَنْتَ فَاثْبُتْ عَلَى مَا

---

[١٥] وُضعت هذه القوانين من القرن الثاني للرابع الميلادي (التقليد الرسولي لهيبوليتس، المراسيم الرسولية، قوانين الرسل، الدسقولية ..)

تَعَلَّمْتَ وَأَيْقَنْتَ، عَارِفًا مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ" (تيموثاوس الثانية ٣:١٤). أمّا الذي يضبط آراء الآباء فهي المجامع المقدسة.

الكتاب المقدس

تسلمت الكنيسة القبطية أسفار الكتاب المقدس (العهد القديم) عن السبعينية، ورغم استخدامها للطبعة البيروتية – والتي تمت في بيروت في القرن التاسع عشر بواسطة فان دايك وعالي سميث، نظرًا لظروف الطباعة – إلا أن هناك أسفارًا أخرى لا توجد في البيروتية، مثل: سفر طوبيا، يهوديت، تتمة سفر أستير، تتمة سفر دانيال، حكمة سليمان، يشوع بن سيراخ، نبوة باروخ، المكابيين الأول والمكابيين الثاني. وبالتالي ليست لدينا أسفار في كتابنا المقدس تُدعى "محذوفة" أو "قانونية ثانية" أو "أبوكريفية"، لكنها أسفار على قدم المساواة مع بقية الأسفار، وبالتالي فإن عدد أسفار العهد القديم هو ستة وأربعون سفرًا: ٣٩ سفرًا في البيروتية، والسبعة أسفار المذكورة عاليه، يُضاف اليها تتمة سفر أستير وتتمة سفر دانيال وصلاة منسّى الملك والمزمور ١٥١، بينما أسفار العهد الجديد سبعة وعشرون سفرًا. ولم تقبل الكنيسة أي كتاب خارج هذه الاسفار[١٦]. أمّا

(١٦) هناك كتب كتبها الغنوسيون والوثنوين في القرون الأولى، ولكي يضمنوا رواجها أطلقوا عليها اسم "أناجيل" أو "أعمال" أو "رؤى" ونسبوها للآباء الرسل أو أحد الانبياء، هذا وقد ردّت الكنيسة قديمًا ردودًا فكرية قوية ما زالت متواجدة إلى الآن في الموسوعات الخاصة بكتب الآباء. ولكن بعض هذه الكتابات هي مصدرنا عن تفاصيل حياة السيدة العذراء، وبعض الأحداث الخاصة بطفولة المسيح (مثل إنجيل يعقوب، وإنجيل الطفولة)، والكنيسة إن كانت قد قبلت بعض المعلومات التاريخية الواردة في بعض هذه الكتابات، إلا إنها رفضت العقائد التي تحتويها.

الاسفار التي قبلتها الكنيسة بينما رفضتها جماعات أخرى مثل البروتسنانت فالسبب أنها لا توافق بعض معتقداتهم..

وقد صاغت الكنيسة ليتورجياتها كلها من أسفار الكتاب المقدس، بحيث أن المواظب على العبادة يستطيع أن يسمع أغلب الكتاب داخل الصلوات الكنسية، وكما أنه لا توجد عقيدة داخل الكنيسة دون سند كتابي، هكذا أيضًا صلوات الكنيسة سواء القداس أو الأسرار أو التسبحة، وحتى الأجبية (والتي هي صلوات السواعي اليومية)، إلا وقد صيغت من الكتاب المقدس، حتى أن الكنيسة من محبتها للكتاب المقدس تقرأه في كل هذه المناسبات ملحنًا.

الأسرار

هي الوسائط التي تنقل إلينا النِعَم التي أودعها المسيح عروسه الكنيسة، والأسرار ننال من خلالها نعمة غير منظورة تحت أعراض منظورة مثل الماء، الخبز، عصير الكرمة، الزيت، ويتم ذلك بفعل الروح القدس العامل في الأسرار، فقد أسس المسيح الأسرار قبل صعوده، ثم بدأت فعاليتها من يوم الخمسين حيث حل الروح القدس فكان مثل التيار الكهربي الذي يسري في الأجهزة فتعمل وتؤثر، وجميع الأسرار تعليم كتابي مؤيد بالنصوص المقدسة. وهناك أسرار يمكن تكرارها مثل التوبة والاعتراف، ومسحة المرضى، والزواج، والإفخارستيا، بينما الأسرار التي لا يجوز تكرارها فهي المعمودية، الميرون، الكهنوت.

هي باب الأسرار، وهي الولادة من فوق، وبدونها لا يمكن أن يكون الشخص مسيحيًا وينال استحقاقات دم المسيح، وإلى ذلك نبَّه السيد الميسح نفسه نيقوديموس: «أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ لْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ» (يوحنا ٣:١٤)، وهي موتٌ مع المسيح وقيامة أيضًا «مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (كولوسي ٢:١٢)، وتُسمى عند الأقباط "التنصير"، بل إن عيد الأبيفانيا عندنا يُسمى "عيد الغطاس"؛ والتسمية الأولى تحسم أمر التبعية للمسيح إلا بها، وأما التسمية الثانية فهي تؤكد كيفيتها أي بالتغطيس، كما أن الاسم نفسه "عماد" يأتي في اللغة اليونانية : "بابتزم" *Baptism* ويعني صبغة، ويوحنا المعمدان يُسمى في ليتورجيا الكنيسة القبطية "الصابغ" .. ويرد عن معمودية المسيح ذاته «فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ» (متى ٣:١٦،انظر أيضًا مرقس١:١٠).

وتكرّر الأمر عند معمودية الخصي الحبشي: «وَلَمَّا صَعِدَا مِنَ الْمَاءِ، خَطِفَ رُوحُ الرَّبِّ فِيلُبُّسَ، فَلَمْ يُبْصِرْهُ الْخَصِيُّ أَيْضًا، وَذَهَبَ فِي طَرِيقِهِ فَرِحًا»(أعمال ٨:٣٩). وتشدد الكنيسة على ضرورة تعميد الأطفال دون انتظار حتى يكبروا كالأطفال الذين عبروا البحر الأحمر وهم لا يدرون شيئًا، والختان – والذي كان يرمز إلى المعمودية – كان يمارسه الأطفال وهم رُضَّع لا يدرون عنه شيئًا، والأبكار الذين نجوا بخروف الفصح ورش الدم أكثرهم كانوا أطفالاً، كذلك في عصر الرسل تعمدت بيوت بكاملها بما فيها الأطفال

مثل بيت كرنيليوس وبيت استفانوس وسجان فيلبي وغيرهم، ولم ترد إشارة الى استثناء الأطفال من ذلك حتى يكبروا.

ولكن سواء كان المعمد طفلاً أو تعمد بالتغطيس فإن الأهم من ذلك الإيمان بأن المعمودية ليست مجرد رمز ولكنها دفن وقيامة مع المسيح، ذلك لأن بعض الطوائف الآن بدأت بالتعميد بالغطس كما بدأت في تعميد الأطفال ربما لخداع البسطاء الذين لا يدرون جيدًا عقيدة الذي عمّدهم لكسب أرضية وسط الأقباط.

هكذا تؤمن الكنيسة بأن المعمودية ليست رمزًا، ولا طقسًا خارجيًا، ولكنها ولادة حقيقية، هي الولادة الجديدة، عن طريق الماء والروح، كما أنها تمنح استنارة داخلية، هكذا يربط آباء الكنيسة بين المعمودية والاستنارة فيسمونها: "سر الاستنارة".

الميرون "الروح القدس"

يرتبط سر الميرون بسر المعمودية، يظهر ذلك في حديث الرب مع نيقوديموس: «أَجَابَ يَسُوعُ الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ» (يوحنا ٣:٥)، وبسكنى الروح القدس في الإنسان ينال الاستنارة ويثبت في المسيح ولذلك فهو يُسمى "سر التثبيت"، كما يسمى "سر المسحة المقدسة"، وعنه يقول القديس يوحنا: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ وَتَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ» (يوحنا الاولى ٢:٢٠)، بل إن الشخص كان يُعيَّن مسيحًا للرب في العهد القديم بمسحة بالزيت (المسحة المقدسة) مثل مسح صموئيل لداود (صموئيل الأول ١٦: ١٣) وصادوق لسليمان (ملوك الأول ١: ٣٩).

ويُسمى السر أيضًا "ختم الروح القدس". وعندما سأل القديس بطرس أهل السامرة إن كانوا قد نالوا هذا السر بعد المعمودية فقالوا لا.. «حِينَئِذٍ وَضَعَا [بطرس ويوحنا] الأَيَادِيَ عَلَيْهِمْ فَقَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ» (أعمال الرسل ٨:١٤-٢٠). وتكرر الأمر أيضا مع القديس بولس وأهل أفسس: «قَالَ لَهُمْ هَلْ قَبِلْتُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمَّا آمَنْتُمْ؟ قَالُوا لَهُ وَلاَ سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ ... وَلَمَّا وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ» (أعمال الرسل ١٩:٢ و٦). وفي إشارة لارتباط السرين معًا، يقول القديس بطرس في عظة يوم الخمسين: «فَقَالَ لَهُمْ بُطْرُسُ تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (أعمال ٢:٣٨).

في البداية كان الروح القدس يُعطى بوضع اليد، ومع ازدياد عدد المؤمنين رسمت الكنيسة استخدام الميرون المقدس والذي هو الحنوط التي كانت على جسد المسيح، مع مواد المسحة المقدسة المذكورة في سفر الخروج لمسح الكهنة والملوك (خروج ٢٥)، وصلى عليها الآباء الأساقفة ونفخوا فيها ووزعوا الزيت المقدس على بلاد العالم ليكون وسيط حلول الروح القدس في المعمودية، نظرًا لارتباط الروح القدس بالزيت كتابيًا.

† الأفخارستيا

"التناول من جسد الرب ودمه الأقدسين"

هو أهم الأسرار ويُسمى "سر الأسرار" وأهم عمل تقوم به الكنيسة، عن الافخارستيا قال السيد المسيح بفمه الطاهر: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ» (يوحنا ٦:٥٣)، وإذا لم نتناول فكيف سنثبت فيه كالجسد مع الرأس، وتؤمن الكنيسة أنه ليس مجرد خبز وخمر، بل يتحول بفعل الروح القدس إلى جسد حقيقي ودم حقيقي للرب، كما أنه ليس مجرد رمز

أو ذكرى، فهوذا القديس بولس بعد سنوات طويلة يصرِّح لأهل كورنثوس «كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ» (كورنثوس الأولى ١٠:١٦)، بل قال إن الذي يتناول منهما بغير استحقاق يصير مجرمًا، فهل يصل الإقدام على مجرد أكل خبز أو شرب كأس بدون استحقاق إلى حد الإجرام، ما لم يكونا جسدًا ودمًا حقيقيين؟! «إِذًا أَيُّ مَنْ أَكَلَ هذَا الْخُبْزَ، أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ، بِدُونِ اسْتِحْقَاق، يَكُونُ مُجْرِمًا فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ» (كورنثوس الأولى ١١:٢٧). والذين يشكّكون في ذلك نسألهم: ألم يقل السيد المسيح لتلاميذه خذوا كلوا هذا هو جسدي.. خذوا اشربوا هذا هو دمي «وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ وَقَالَ خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا» (متى ٢٦:٢٦-٢٨)؟ هذا ويعتبر الإنسان القبطي أن التناول هو أهم شئ يمكن ممارسته، كما يُعتبر القداس الإلهي أهم عمل يقوم به الكاهن والشعب حيث يشترك الكل في جسد المسيح ودمه، ونصلي في القداس معلنين إيمان الكنيسة: "يُعطَى عنا خلاصًا وغفرانًا للخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه"، وهي مقتبسة من كلمات السيد المسيح نفسه (راجع متى ٢٦:٢٦-٢٨، مرقس ١٤:٢٢، لوقا ٢٢:١٩؛ يوحنا٦:٥٣-٥٨، كورنثوس الأولى ١٠:١٦ و ١١:٢٣-٣٥).

والذبيحة المقدمة على الصليب ما تزال قائمة، والدم المسفوك على الجلجثة ما يزال مهروقًا في الكأس في كل ليتورجيا، وفي نهاية القداس يصرخ الكاهن: "جسد ودم حقيقي ليسوع المسيح بن إلهنا، هذا هو بالحقيقة آمين"، فيجاوبه الشعب: "حقا نؤمن".

مات المسيح عن خطايانا وترك لنا رصيدًا غير محدود من الغفران، نسحب منه من خلال الكنيسة التي أودعها كل مجده وغناه كعروس له، ولم يغفر الله الخطايا لكل إنسان دون شروط وضعها واستحقاقات قال عنها ولكن أعطى إمكانية الغفران لمن يطلب، ولذلك قال القديس يوحنا الحبيب: "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا ٣:١٦)، فالمسيح مات عن الكل، ولكن لن يخلص الكل، بل كل من يؤمن به. والإيمان يرتبط بالاعتراف، فعندما جاء اليهود ليعتمدوا من يوحنا اعترفوا بخطاياهم، ويرد في سفر الأعمال: «وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَأْتُونَ مُقِرِّينَ وَمُخْبِرِينَ بِأَفْعَالِهِمْ» (أعمال ١٨:١٩)، نقول ذلك بالدليل الكتابي لئلا يقول البعض أن الآية «اِعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَتِ» (يعقوب ١٦:٥) تعني اعتراف الأفراد على بعضهم البعض، بل على الرسل والتلاميذ والكهنة، وعندما أسس السيد المسيح سر الكهنوت قال لتلاميذه بعد أن نفخ في وجوههم: « اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ» (يوحنا ٢٠: ٢٢)، إذًا لم يترك الرب أمر الاعتراف إلى الشخص فيما بينه وبين نفسه.. بل هناك الكهنوت والكنيسة.

ومع ذلك فالاعتراف على الكاهن دون التوبة الحقيقية لا قيمة له، كما أن الاعتراف على الله في المخدع دون ذكر الخطايا للكاهن كوكيل أسرار الله، غير كاف، فهو الشخص الذي أوكل الله له ممارسة أعمال باسمه كوكيل (كورنثوس الأولى ٤ :١)، ولدينا الكثير من الأدلة على ذلك، فحين أخطأ داود كان الله يعلم ذلك ومع هذا أرسل إليه ناثان النبي الذي

واجهه، فاعترف داود قائلاً: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ. فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ: الرَّبُّ أَيْضًا قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيَّتَكَ. لاَ تَمُوتُ» (صموئيل الثاني ١٢: ١٣)، هذا اعتراف من الخاطئ وحِلٌّ من الكنيسة ... وقد أوصى التلاميذ في قوانين الرسل بضرورة الاعتراف سواء من جهة التزام الشخص بممارسة هذا السر أو التزام الاسقف والكاهن بقبول المعترف. وعندما يصلي الكاهن التحليل للمعترف في نهاية الاعتراف، يخاطب الرب قائلاً: "طهرنا. باركنا. حاللنا"، فالروح القدس هو الذي يهب الغفران وليس الكاهن بذاته. هذا وقد انحرف البعض بالسر فألغوه تماما، بيينما جعل البعض الآخر حاجزًا بين المعترف وأب الاعتراف، ولكن الكنيسة القبطية المتوازنة مع إيمانها بالسر فإنها أيضًا تقيم وزنًا للأبوة الروحية والتلمذة.

سر الزيجة

الزواج في الكنيسة القبطية يسمى "سر الزيجة"، بل إن القديس بولس شهد لعظمته قائلاً: «هذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ» (أفسس ٥: ٣٢). وهذا هو الفرق بين الزواج داخل الكنيسة بحسب قوانينها والزواج خارج الكنيسة، فنحن لا نشكك في أي زواج مادام قد تم بموجب القوانين الوضعية، ولكنه "زواج" وليس "سر الزواج"، والذي يتم داخل الكنيسة بمعرفة الروح القدس واتحاد الله برجل وامرأة، وبعد هذا الاتحاد يصبح الواحد اثنين (يجمع الاثنين في شخص)، والاثنان واحدًا فتتلاشى الثنائية، ويصبح هذا الواحد أكثر جمالاً وروعة وقوة بيد الفنان الأعظم "الروح القدس"، إذًا فهو ليس مجرد عقد أو اتفاق بين اثنين، كما أن هناك فرقًا بين البعد السري في الزواج والبعد الإشهاري الذي يُعلِن للمجتمع هذا الحدث ... ولا تسمح الكنيسة

بالطلاق إلا لعلة الزنى فقط بحسب تعليم السيد المسيح: «وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي» (متى ١٩:٩)، وينظر البعض إلى ذلك باعتباره نيرًا قاسيًا على شخصين لا يرغبان في الاستمرار معًا، ولكن هذا تعليم كتابي، وتحذير لعدم التسرع في الزواج، وعدم التسرع أيضًا في الطلاق... والحفاظ على المجتمع والأسرة والأطفال.. كما لا تسمح الكنيسة مطلقًا بتعدد الزوجات بحسب تعليم الرب نفسه: « أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟» (متى ١٩: ٤).

كما ترفض الكنيسة رفضًا قاطعًا زواج الشواذ جنسيًا سواء من الرجال أو النساء، لأن ذلك ضد قصد الله وضد الطبيعة وضد الأخلاق، لقد رفض الكتاب المقدس العلاقات المنحرفة حتى داخل اطار الزواج فكم بالأحرى تكريس وتقنين ذلك؟ (رومية ١: ٢٤- ٢٨).

سر مسحة المرضى

لقد بدأ هذا الطقس منذ كان السيد المسيح ما يزال مع التلاميذ قبل الصليب، فيرد في إنجيل القديس مرقس: «وَأَخْرَجُوا شَيَاطِينَ كَثِيرَةً، وَدَهَنُوا بِزَيْتٍ مَرْضَى كَثِيرِينَ فَشَفَوْهُمْ» (مرقس ٦:١٣)، وعن استخدام الزيت في ذلك فهو من قبيل استخدام المادة كعَرَضٍ من خلاله ننال الموهبة أو العطية. مثلما استخدم السيد المسيح الطين والماء عندما شفى المولود أعمى. وقد أوصى القديس يعقوب قائلاً: «أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ» (يعقوب ٥:١٤).

وهناك طقس رائع يقام مرة واحدة في السنة (يوم جمعة ختام الصوم) وهو "القنديل العام" والذي يُرشم بعده جميع أفراد الشعب للشفاء من الأمراض الجسدية والنفسية، هذا بخلاف القنديل الذي يقام للمريض الملازم للفراش، غير أن هناك شرطًا للشفاء وهو أن يعترف المريض بخطاياه، وأن يكون لديه إيمان بأن الرب سيشفيه، كما ورد في النص عاليه (المقتبس من يعقوب ١٤:٥). هذا وقد اعتاد أفراد الشعب القبطي الاحتفاظ بقوارير الزيت المُصلَّى عليه سواء ليلة الأبوغالمسيس، أو القنديل المصلي في البيت، أو الذي يحصلون عليه من الأديرة، ليكون جاهزًا متى زار أحد الكهنة البيت، كما يحتفظ الكاهن نفسه بقارورة زيت في جيبه لدهن من يحتاج من الشعب.

سر الكهنوت

أسس الله الكهنوت في العهد القديم من خلال هرون وبنيه، كما يوجد كهنوت مذكور في سفر الرؤيا، ولكن عمل الكهنوت في العهد القديم هو تقديم الذبائح والتي كانت كلها ظلاً لذبيحة المسيح في العهد القديم، وفي السماء سيكون العمل هو ذبيحة التسبيح وهناك كهنة يسبحون حول العرش، أما الآن، في العهد الجديد فقد تحول الكهنوت من الطقس اللاوي إلى المسيحي على رتبة ملكي صادق، فيقدمون الإفخارستيا.

وكما اختار الله سبط لاوي لكهنوت العهد القديم، هكذا في العهد الجديد اختار السيد تلاميذه للعمل الكهنوتي مؤسِّسًا بذلك كهنوت العهد الجديد: «وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ» (يوحنا ٢٠:٢٢)، بل دُعى السيد المسيح نفسه "رئيس كهنة"، وكل رئيس كهنة مقام على مثاله، وقد تكلم القديس بولس عن مذبح وكهنوت، ولئلا يعترض أحد بأنه

كهنوت عام لتقديم الصلاة والتسبيح فقط، فقد قال: «لنا مَذْبَحٌ لاَ سُلْطَانَ لِلَّذِينَ يَخْدِمُونَ الْمَسْكَنَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهُ» (العبرانيين ١٣:١٠).

ويُقام الكهنة والأساقفة بوضع الأيادي، فيحل الروح القدس لهذه العطية مثلما حدث مع الرسل حين أرسلوا بولس وبرنابا: «وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدِمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ فَصَامُوا حِينَئِذٍ وَصَلُّوا وَوَضَعُوا عَلَيْهِمَا الأَيَادِيَ ثُمَّ أَطْلَقُوهُمَا» (أعمال ١٣:٢،٣)، والقديس بولس نفسه يوصي تلميذه تيموثاوس: «لاَ تُهْمِلِ الْمَوْهِبَةَ الَّتِي فِيكَ الْمُعْطَاةَ لَكَ بِالنُّبُوَّةِ مَعَ وَضْعِ أَيْدِي الْمَشْيَخَةِ» (تيموثاوس الاولى ٤:١٤). بل إنه طلب من تلميذه تيطس أن يقيم قسوسا «مِنْ أَجْلِ هذَا تَرَكْتُكَ فِي كِرِيتَ لِكَيْ تُكَمِّلَ تَرْتِيبَ الأُمُورِ النَّاقِصَةِ، وَتُقِيمَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ شُيُوخًا كَمَا أَوْصَيْتُكَ» (تيطس١:٥). والكهنة الموجودون الآن في الكنيسة القبطية، قام برسامتهم أساقفة أقامهم البابا الأنبا شنوده الثالث مع المجمع المقدس، والبابا شنوده هو البابا رقم ١١٧ من بطاركة الكرسي السكندري المتسلسلين من القديس مارمرقس البطريرك الأول.

والكنيسة لا تقر كهنوت المرأة مثلما فعلت بعض الكنائس في الغرب، حيث اختار الله قديمًا هرون وبنيه (فقط) وليس بنيه وبناته! وفي العهد الجديد اختار الرب تلاميذه ورسله كلهم من الرجال، كما مُنِعت المرأة من التعليم في الكنيسة (راجع كورنثوس الأولى ١٤: ٣٤-٣٦) وبالأولى من رتب الكهنوت، كما أن الكاهن يمثل المسيح نفسه والذي جاء في هيئة رجل باعتباره آدم الثاني والذي كانت حواء فيه (خرجت منه) حتى أن السيدة العذراء نفسها، وهي الفتاة الأكثر قداسة بين الناس واختارها الله ليتجسد منها،

لم تنل أية رتبة كهنوتية، بينما للنساء خدماتهن الجانبية المساعدة، مثل الاهتمام بالفقراء والأرامل والأيتام وخدمات أخرى يتفوقن فيها على الرجال.

والأقباط يوقرون الكهنوت جدًا، وحيث يوجد الكاهن توجد الكنيسة والأسرار، فهو يُعلِّم، ويعمِّد، ويرشم بالميرون، ويقيم الإفخارستيا، ويقبل اعترافات الشعب، ويعمل مسحة المرضى، ويزوِّج، بل ويكفي وجود الكاهن في أي مكان، ولو بدون مبنى كنسي، فهو يجمع الشعب إليه ويؤسس الكنيسة.. لذلك فالكهنوت هو "تاج الأسرار"..

زي الكهنوت

منذ قرون طويلة والكنيسة رتبت ملابس خاصة بالكهنة والشمامسة، ولأن الكهنة مكرسون تمامًا للخدمة الكهنوتية فقد صار لهم ملابس طقسية في الخارج، وأخرى أثناء الخدمة داخل الكنيسة، وتتسم هذه التي داخل الكنيسة باللون الأبيض مثل السمائيين حيث كل شيء في الكنيسة منير ومبهج، وعلى رأس الكاهن غطاء يسمى "الطيلسانة" وهو يشبه الأكاليل التي رآها القديس يوحنا على رؤوس الكهنة الأربعة وعشرين (رؤيا ٤:٤)، وتكون ملابس الخدمة هذه بدون جيوب إشارة إلى عدم الانشغال بأي شيء مادي وهم في حضرة الرب. أمّا في الخارج فقد رتبت الكنيسة أن يرتدي الكهنة والأساقفة الملابس السوداء لما لها من وقار، وغطاء رأس بنفس اللون مع اختلاف الشكل بين الكاهن والأسقف..

وأما الشمامسة فكانت ملابسهم بيضاء مثل الآن، ولكن البطرشيل كان يوضع فوقها بأشكال مختلفة بحسب الرتبة، ولكن المتبع الآن التونية البيضاء مع البطرشيل

لجميع الرتب، والبطرشيل يشبه جناحي الملاك ومنطقة الجندي وهما الدوران اللذان يظهر بهما الشماس في حضرة ملك الملوك ورب الأرباب كما يظهر خدام الله في سفر الرؤيا... هذا وقد اختصت الكنائس التقليدية الأخرى مثل الكاثوليك والروم والأنجليكان، كل رتبة كهنوتية بأزياء ذات ألوان تخصها وحدها...



الطقس هو "وضع الإيمان والعقيدة في قالب حركي" وهو "الترلآت" التي نقلت إلينا هذا الإيمان وجميع العقائد خلال رحلة طويلة، ونجد أن كل غِنى اللاهوت في الكنيسة مُصاغ في ليتورجياتها، والطقس (تاكسيس باليونانية) هو الترتيب، وعندما سأل بعض الفلاسفة القديس أنطونيوس عن المصادر التي استقى منها غناه اللاهوتي والروحي، أجابهم أن كتبه هي شكل (طقس) الذين سبقوه ويقصد التقليد المتوارث عن الذين سبقوه (منذ السيد المسيح الراهب الأول).

والطقس أيضا هو الذي جعل الكنيسة واحدة، لها نظام واحد في العبادة في جميع كنائس الكرازة، فلا يستطيع أحد تغيير شيء، لا ترتيب ولا نصوص ولا قوانين، بل حتى الآباء البسطاء والذين لم يكونوا موهوبين في التعليم، حفظوا العقيدة دون مساس وسلموها سليمة لمن بعدهم، هكذا وصل التعليم السليم عبر فترات عصيبة، بل حتى عندما كانت تختفي الكتب بما فيها الكتاب المقدس نفسه قام الطقس بدوره الرائع ككنز الكنيسة.

هكذا يوصي القديس بولس: «وَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ» (كورنثوس الأولى ١٤:٤٠)، وعندما يقول: «وَأَمَّا الأُمُورُ الْبَاقِيَةُ فَعِنْدَمَا أَجِيءُ أُرَتِّبُهَا» (كورنثوس الأولى ١١:٣٤) فهو يقصد "يطقّسها"، بل وحتى إخوتنا البروتستانت والذين يعترضون على الطقس، هم أنفسهم لهم طقوس، عندما يقيمون قسوسهم أو يصلون على منتقل أو يزوجون أحدًا. هكذا يمتدح القديس بولس تلميذه تيموثاؤس الأسقف قائلاً: «وَأَمَّا أَنْتَ

فَقَدْ تَبِعْتَ تَعْلِيمِي، وَسِيرَتِي، وَقَصْدِي، وَإِيمَانِي، وَأَنَاتِي، وَمَحَبَّتِي، وَصَبْرِي» (تيموثاوس الثانية ٣: ١٠).

الكتب الطقسية المستخدمة في الكنيسة القبطية

وهي الكتب الرسمية المستخدمة في العبادة، وُجدت في البداية كمخطوطات قبل أن تنتشر بوفرة شديدة بعد تقنيات الطباعة الحالية، فبالإضافة الى الكتاب المقدس وهو العمود الفقري للإيمان والقراءات والعبادة، توجد الكتب الآتية:

١- **الخولاجي المقدس** ويحتوي على القداسات الثلاثة: الباسيلي والغريغوري والكيرلسي، هذا وتفخر الكنيسة القبطية بأن القداس الأول لها كان من وضع القديس مارمرقس نفسه، وهو الذي قام القديس كيرلس الكبير (البابا ٢٤) بعمل بعض التعديلات فيه، فنُسب له.

٢- **كتاب الخدمات الكنسية** ويحوي طقوس الأسرار (ماعدا الإفخارستيا) والتجنيز وتبريك المنازل وحميم الأطفال.

٣- **الأبصلمودية المقدسة** وفيه التسبحة اليومية، وكتاب الأبصلمودية الكيهكية وهو خاص بتسابيح شهر كيهك.

٤- **القطمارس** ويحوي القراءات اليومية التي تُتلى في القداس الإلهي، (وهناك قطمارسات أخرى للمناسبات مثل قطمارس الصوم الكبير والبسخة والخمسين المقدسة).

٥- **كتاب اللقان المقدس والسجدة** ويحوي لقانات الغطاس وخميس العهد والرسل، والسجدة في عيد العنصرة.

٦- **السنكسار** وفيه سير الرسل والشهداء والأنبياء والقديسين التي تُقرأ في القداس الإلهي بعد الإبركسيس (أعمال الرسل) وقبل الإنجيل.

٧- **الدفنار** وهو تماجيد لقديسي اليوم، تُتلى في التسبحة اليومية.

٨- **الأجبية** أو صلوات السواعي اليومية، ويحوي سبع صلوات: باكر (٦ صباحًا) والساعات الثالثة (٩ صباحًا) والسادسة (١٢ ظهرًا) والتاسعة (٣ عصرًا)، والغروب (٥ مساءً)، والنوم (٦ مساءً)، وصلاة نصف الليل، وهي ثلاث خدمات.

٩- **كتاب إبصاليات الأعياد**، ويحوي الإبصاليات التي تُزاد في تسبحة الأعياد.

١٠- **كتاب دورة عيدي الصليب والشعانين**، ويحوي طقس الدورة في هذه الأعياد.

١١- **دلال أسبوع الآلام**، وفيه ألحان وطروحات الأسبوع المقدس.

السنة الطقسية "الليتورجية"

السنة الطقسية للكنيسة القبطية هي ذاتها السنة الزراعية المصرية. وتُعرف الآن بالتقويم القبطي أو تقويم الشهداء، ويُرمز له بالحرف "ش". هذا التقويم عرفته مصر القديمة منذ عهود الفراعنة، وهو تقويم نجمي يرتبط بنجم "الشعري" والذي يظهر مع بداية موسم الفيضان (١١ سبتمبر). وعن هذا التقويم أخذ الرومان وأنشأوا التقويم اليولياني، الذي عدّله بابا روما غريغوريوس في القرن الثالث عشر وعُرف بالتقويم الميلادي. والسنة المصرية تنقسم إلى ثلاثة فصول: فصل الفيضان (المياه)، و فصل الزراعة (الزروع)، و فصل الحصاد (الأهوية والثمار)، كما أن بها اثني عشر شهرًا، كلٌّ منها ثلاثون يومًا، إضافة إلى شهر صغير يسمى "النسئ" يتكون من خمسة أيام (ستة في

السنة الكبيسة)؛ وشهورها هي: توت، بابه، هاتور، كيهك، طوبه. أمشير، برمهات، برموده، بشنس، بؤونة، أبيب، مسرى، النسئ. جدير بالذكر أن هذا التقويم ما زال معمولاً به في أوساط المزارعين المصريين – مسيحيين ومسلمين – حتى يومنا هذا، وقد كان معمولاً به في الدواوين الحكومية حتى ألغاه الخديو إسماعيل واستبدله بالتقويم الميلادي.

وعندما دخلت المسيحية مصر، استمر الأقباط في استخدام تقويمهم القديم، إلا أنهم أعادوا بداية تأريخه منذ تولّى الإمبراطور دقلديانوس العرش (٢٨٤م) تكريمًا لذكرى ما يزيد على ثلاثة أرباع مليون شهيد أُستُشهدوا في عصره فقط. وللكنيسة القبطية ثلاث دورات ليتورجية على مدار سنتها الطقسية: دورة يومية، وأخرى أسبوعية، وثالثة سنوية.

الدورة اليومية، وتظهر بوضوح في:

١- صلوات الأجبية السبع التي تتكرر كل يوم.

٢- القراءات الكتابية في رفع البخور والقداس والتي تتغير يوميًا بحسب العيد أو قديس اليوم.

٣- السنكسار والدفنار اللذان يذكران سيرة قديسي اليوم.

الدورة الأسبوعية:

وهي دورة التسبيح، حيث لكل يوم من أيام الأسبوع "إبصالية" (ترنيمة) و"ثيئوتوكية" (قطع لشرح التجسد وتمجيد العذراء – ثيئوتوكوس) خاصان باليوم.

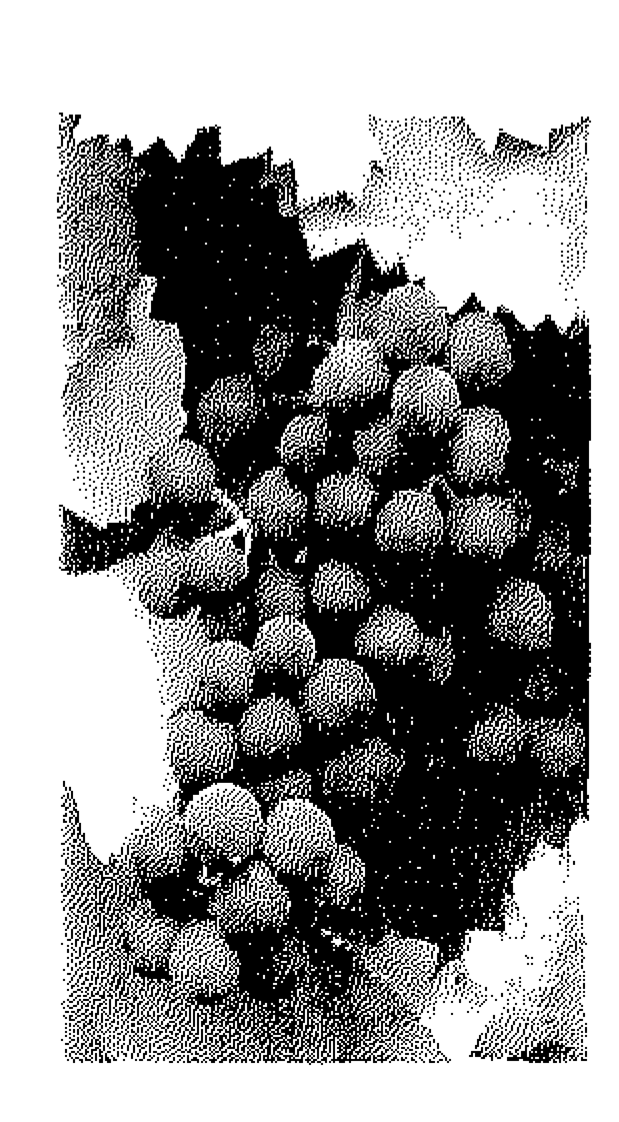
الدورة السنوية: ومحورها "تدبير الخلاص"؛ ويمكننا أن نقسمها إلى الأقسام التالية:

١- من عيد النيروز (رأس السنة) وحتى بداية صوم الميلاد: نحتفل بالشهداء، وبالصليب فخر الشهداء، فتقويمنا هو تقويم الشهداء.

٢- من صوم الميلاد (١٦ هاتور / ٢٥ نوفمبر) وحتى عيد القيامة: ومحوره تجسد الرب وخلاصه الذي أكمله بالصلب والقيامة.

٣- من عيد القيامة وحتى عيد العنصرة: ومحور هذا القسم الحياة الجديدة الموهوبة لنا بقيامة المسيح، وانتظار الروح القدس.

٤- من عيد العنصرة وحتى نهاية العام: وتماثل الدهر الذي نحياه، حيث يُكرز باسم المسيح، ويُكرم قديسوه، ويجاهد الأحياء، وننتظر مجيئه الثاني (نهاية العام = نهاية العالم).



من خلال نظرة سريعة على دورة داخل الكنيسة للاحتفال بأحد القديسين، حيث تُزف أيقونته بالألحان والبخور وهتاف الشعب وتهليلهم وتسابقهم للتبرك من الأيقونة، والفرحة الغامرة التي تسود المكان، ندرك على الفور مقدار محبة الأقباط للشهداء والقديسين، وقد تسلموا ذلك من الكتاب المقدس نفسه حيث قال الرب: «فَإِنِّي أُكْرِمُ الَّذِينَ يُكْرِمُونَنِي، وَالَّذِينَ يَحْتَقِرُونَنِي يَصْغُرُونَ» (صموئيل الأول ٢:٣٠)، والكنيسة منذ البداية وهي تولي القديسين وأجسادهم أهمية كبرى حيث اعتبرت رفاتهم وذخائرهم أثمن من كل الكنوز، فبنت فوقهم المذابح كما رأى القديس يوحنا «رَأَيْتُ تَحْتَ الْمَذْبَحِ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ الشَّهَادَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُم»(رؤيا ٦:٩)، ورتبت لهم سهرات حتى الصباح تنتهي بالإفخارستيا. والكنيسة القبطية لا تعبد القديسين ولكن تكرمهم ويقول القديس ابيفانيوس أسقف قبرص: "نقدم للعذراء تكريمًا وللمسيح عبادةً".

كذلك أوصانا الرب أن نذكر مرشدينا: «اُذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمُ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ» (عبرانيين ١٣:٧). أما من جهة القديسين أنفسهم فهم يشكّلون مع المجاهدين على الارض جسدًا واحدًا وكنيسة واحدة، فهم أحياء بحسب تصريح الله نفسه عندما ظهر لموسى في العلية: «أَنَا إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ لَيْسَ اللهُ إِلهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلهُ أَحْيَاءٍ» (متى ٢٢:٣٢). وقد استعاد القديس بولس صورة الشهود المشجعين في ميادين الرياضة والمصارعة، ليصف تعضيد القديسين لنا:

«لِذلِكَ نَحْنُ أَيْضًا إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْل وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا» (عبرانيين ١٢:١).

أخيرًا لا ننسى وصية الرب بإكرام المرأة ساكبة الطيب، فقد قال الرب: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ تَذْكَارًا لَهَا» (متى ٢٦:١٣، ومرقس ١٤:٩)، ويُنظر إلى الطيب بشكل عام هنا باعتباره أعمال وجهاد الإنسان، والتي هي قدام الرب رائحة طيبة زكية تدخل الى عظمته.

والكنيسة، والتي هي كنيسة قديسين، أقل درجة مقبولة فيها هي القداسة، كما أنها لا تقبل أي شخص كقديس إلا من خلال المجمع المقدس، وبعد مرور خمسين عامًا على نياحته، حتى لا يُترك الباب مفتوحًا لأي أناس تقودهم العاطفة أو العرقية للمناداة بقداسة إنسان ليُذكر في صلوات الكنيسة أو تُصنع له الأيقونات أو الأعياد الرسمية دون تقنين من الكنيسة، ومع ذلك فالكنيسة تذكر من يُراد ذكرهم في القداس الإلهي لطلب الرحمة مثلما نفعل في أوشية الراقدين والترحيم. كذلك لا تقبل الكنيسة المعجزات أو الظهورات كحقيقة دون تحقق من خلال لجنة من المجمع المقدس بتكليف من قداسة البابا.

تكريم أجساد القديسين

كرَّم الله المادة بتجسده وكذلك بصعوده إلى السماء بجسده الإنساني، ونحن نكرم أجساد القديسين لأن الجسد هو الهيكل الذي عاشت فيه الروح واشترك في الجهاد معها، نتيجة الشركة الحميمية بين الجسد والنفس والروح، كما أن الجسد قد تقدس بالمعمودية وبالميرون وبالتناول والصلاة وغيرها من الوسائط الروحية، وهكذا تحولت الأجساد إلى مسكن الروح القدس والأعضاء أصبحت أعضاء المسيح (كورنثوس الأولى ٦:١٩ و٦:١٥). وكما قدَّس الروح القدس الأجساد يقدس أيضًا الماء والزيت والخبز والخمر. والجسد يتأثر بروح الإنسان ونفسه، وكما أن الأشرار سوف يُلقَون نفسًا وجسدًا في النار (متى ١٠: ٢٨) فإن الأبرار كذلك سيكافئون على المستويين.

ومنذ العصر الرسولي والكنيسة تهتم جدًا بأجساد القديسين ورفاتهم (بقاياهم) وتعتبرها أغلى من كنوز العالم، تبني فوقهم المذابح وتضع عليهم أغلى الأطياب، كذلك ملابسهم والأدوات التي استخدموها، ولأن الله قدس المادة في العهد الجديد فلم تعد عظام الأموات نجسة بل إن كان اليهود أنفسهم اعتنوا كثيرا بعظام موتاهم حتى أنهم حملوا التابوت الذي يحوي عظام يوسف معهم عند خروجهم من مصر بحسب وصيته (تكوين٥٠: ٢٥ وخروج ١٣:١٩)، كما أن عظام إليشع النبي قد أقامت الميت الذي لمسها (ملوك ثانٍ ١٣ :٢١)، ويقول يشوع بن سيراخ عن إيليا وإليشع: «صنع في حياته الآيات وبعد موته الأعمال العجيبة» (سيراخ ١٣:١٥).

والمفروض أن كل أعمال الإنسان يشترك فيها الجسد وتؤثر فيه على نحو ما، بل حتى أفكاره، كما أن أجساد الشهداء على وجه الخصوص تظهر فيها بوضوح آثار التعذيب،

ويقول القديس بولس: «لأَنِّي حَامِلٌ فِي جَسَدِي سِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ» (غلاطية ٦: ١٧). أفما نقف مبهورين في بعض المتاحف أمام سيارة رئيس أو شخص عظيم انتقل، وكذلك ملابسه والأدوات التي كان يستخدمها ونلتقط الصور التذكارية معها! فكم بالأحرى أجساد القديسين.

وكما برأت المرأة نازفة الدم بمجرد لمس هدب ثوب المسيح (مرقس ٥: ٣٥- ٤٣) هكذا أعطى الله قديسيه، فخرج من أجساد القديسين الكثير من العجائب والمعجزات «وَكَانَ اللهُ يَصْنَعُ عَلَى يَدَيْ بُولُسَ قُوَّاتٍ غَيْرَ الْمُعْتَادَةِ، حَتَّى كَانَ يُؤْتَى عَنْ جَسَدِهِ بِمَنَادِيلَ أَوْ مَآزِرَ إِلَى الْمَرْضَى، فَتَزُولُ عَنْهُمُ الأَمْرَاضُ، وَتَخْرُجُ الأَرْوَاحُ الشِّرِّيرَةُ مِنْهُمْ» (أعمال ١٩:١١-١٢). فإذا كان للظلّ والمناديل هذه القوة الشفائية فكم بالأحرى الذخائر المقدسة. ويقول القديس أثناسيوس: "إن النعمة الإلهية توجد في نفوس وأعضاء القديسين" (شرح المزمور ١١٧). والقديس يوحنا الذهبي الفم يقول: "بالموت لا تتغرّب أجساد القديسين عن النعمة التي كانوا يحيون بها، بل تزداد بها"، والقديس باسيليوس الكبير يقول: "إن الذي يلمس عظام الشهيد تنتقل إليه نعمة التقديس الموجودة فيها".

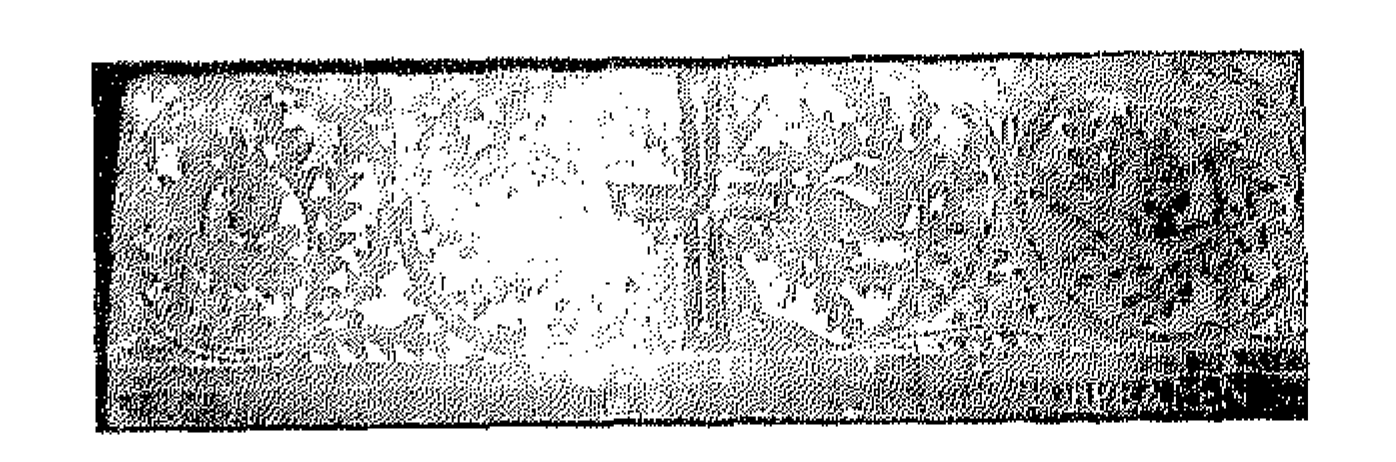
هكذا نكرم رفات القديسين، بل وتتسابق الكنائس في كافة أنحاء العالم لتحظى بشظية واحدة من عظام شهيد أو قديس، هذا وتنتشر في الكثير من الكنائس القبطية المقصورات التي تحوي بعضًا من هذه الرفات المقدسة، حيث تحظى بكرامة عظيمة وتقام لها الاحتفالات الشائقة. ومع ذلك فنحن لا نعبدها وعندما نسجد قدامها فنحن نسجد للمسيح الذي يتمجد من خلالها، فسجودنا هو سجود عبادة للمسيح وإكرام للقديس.

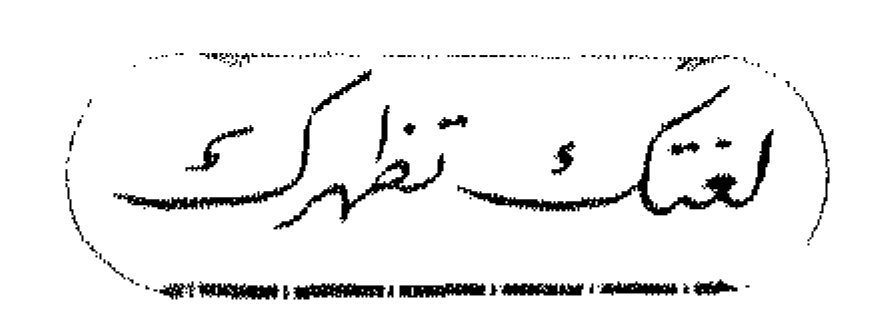
الإيمان والأعمال والجهاد

نحن نؤمن بعمل نعمة الله فينا وأنه بدون الرب لن نقدر أن نعمل شيئًا، وأن الأعمال وحدها لا تكفي، ولكن الإنسان بالنعمة يجاهد فتتضاعف له النعمة: «فَإِنَّ مَنْ لَهُ سَيُعْطَى وَيُزَادُ وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ» (متى ١٣:١٢)، والكتاب عندما يرفض الأعمال فهو يرفض الأعمال التي نعملها نحن وحدنا والتي يمكن أن تولّد الكبرياء أو ليست لمجد الله «لاَ بِأَعْمَال فِي بِرّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغُسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (تيطس ٣:٥). وقد طلب الله إلينا أن نجاهد كثيرًا وحتى الدم: «لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ» (عبرانيين ١٢:٤)، وهل يخلص الإنسان بدون جهاد وبمجرد الإيمان؟، أليس الإيمان بدون أعمال ميت؟! «هكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْمَالٌ، مَيِّتٌ فِي ذَاتِهِ» (رسالة يعقوب ٢:١٧)، ألم يقل القديس يعقوب أيضًا: «لكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ أَنْتَ لَكَ إِيمَانٌ وَأَنَا لِي أَعْمَالٌ أَرِنِي إِيمَانَكَ بِدُونِ أَعْمَالِكَ وَأَنَا أُرِيكَ بِأَعْمَالِي إِيمَانِي» (يعقوب ٢: ١٨). وما فائدة جميع وصايا الرب وتحذيراته وإنذاراته في الكتاب المقدس، ألم يطلب إلينا الرب أن يتمجد بأعمالنا: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ٥:١٦).

إن بعضًا من إخوتنا البروتستانت يعترضون على بعض الأعمال ويقولون أنها لا تخلص، ونحن نتفق معهم إذا كانت مجرد ممارسات جوفاء شكلية دون روح، ولكننا نقول إن الإيمان السليم لابد وأن يكون له هذا القالب الذكي الذي يمجد الله.. بل إن الكنيسة ترفض المباهاه بالأعمال والمواهب مثل استعراض معجزات الشفاء وسرد

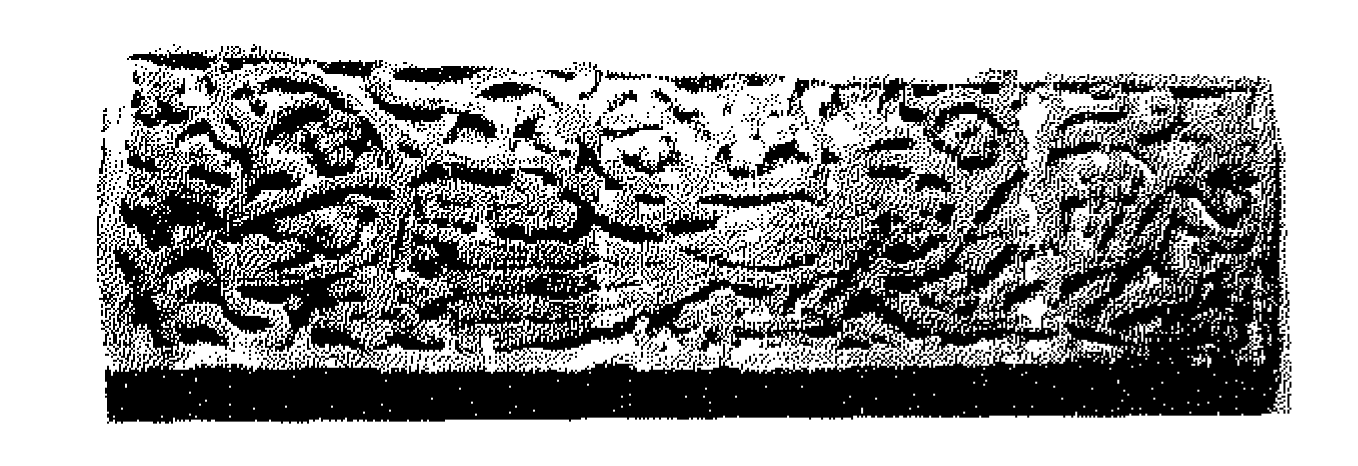
الاختبارت الروحية على الملأ لأن «الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ» (متى ١٠: ٢٢)!.
ويوصي القديس بولس: «هكَذَا ارْكُضُوا لِكَيْ تَنَالُوا. وَكُلُّ مَنْ يُجَاهِدُ يَضْبُطُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (كورنثوس الاولى ٩:٢٤،٢٥). إننا نواجه في العالم الشيطان، والأشرار، والميول الردئية، والإغراء، والفساد، والعثرات؛ وكل ذلك يتطلب جهادًا وتعبًا، وقد أعطانا الله نفسه السلاح الذي نجاهد به «حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ. وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ» (افسس ٦:١٣-١٨)، وعن استمرار الجهاد يقول القديس بولس: «وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا» (عبرانيين ١٢:١).





تشترط الكنيسة القبطية عند عماد الطفل أن يكون له "إشبين" أي معلم يسلمه الإيمان والعقيدة، ويربّيه كما يليق بأولاد الله (وعادة ما يكون الأم) إيمانًا منها بأن الأسرة هي الكنيسة الصغيرة.. فهي تعلمه الصلاة وتأخذه الي الكنيسة وتسلمه الإيمان قليلاً قليلاً، ثم تشرح له الإنجيل من خلال القصص الكتابية، تحضر إليه القربانة، والسعف في أحد الشعانين، زيت القنديل، حنوط القديسين، ماء اللقان، صور القديسين تطلب زيارة الأب الكاهن لتبريك المنزل أو لعمل قنديل...

كما تسلمه التعبيرات نفسها: "قدس أبونا"، "نيافة الأسقف"، "حاللني"، "صلِّ لأجلي"، "صلوات القديسين"، ثم تمهِّد للمناسبات القبطية، فتعلن: "نحن مقبلون على النيروز" وتشرح ذكرى الشهداء ورأس السنة القبطية، "نحن نستعد للصليب" وتصنع الصلبان من الخوص، صوم الميلاد، كيهك على الأبواب، الصوم الكبير، وتقول أسماء الأسابيع: "هذا أسبوع الاستعداد"... و"ذاك الكنوز"...الخ... وفي أسبوع الآلام كانت الأسرة القبطية لها طقوسها فيه، حيث ترتفع درجة النسك الى أقصى حد، وهكذا يصبح للبيت القبطي سمة خاصة... فهو بيت كنسي ليتورجي...



القبطي والنسك

القبطي ناسك بطبيعته، ليس من جهة التزامه بنظام الكنيسة وترتيبها من جهة الصوم سواء الانقطاعي أم أنواع الطعام، ولكن القبطي ميال بطبيعته الى النسك والتصوف، والنسك بشكل عام لا يعني الحرمان أو الجنوح بل يعني الانضباط، والنسك لا يتعلق بالطعام فقط ولكن بالنوم والثياب والمال وغيرها، فعندما تنادي الكنيسة بصوم للسيدة العذراء ومدته خمسة عشر يومًا (من أول مسرى إلى ١٦مسرى) يصوم البعض واحدًا وعشرين يومًا ... وعندما تسمح الكنيسة بتناول الأسماك في بعض من أصوامها، نجد البعض يمتنع عن ذلك، وهناك من لا يطبخ طبيخًا في بعض الأصوام... ومنهم من لا يوقد نارًا في أسبوع الآلام.. ومنهم من يتشح بالسواد خلال هذا الأسبوع لشعورهم أن أحداثه ليست مجرد تمثيلية أو وسيلة إيضاح.

ورغم أن الاصوام في الكنيسة القبطية بدرجاتها تصل إلى حوالي ثلثي السنة فإنهم يصومون برضى وفرح، ونثق أن أي اقتراح بتعديلها إلى الأقل لن يلاقي ترحيبًا من الشعب نفسه، والكنيسة فيما تنظم الأصوام منذ العصر الرسولي وحتى اليوم إنما تشجع الشعب على الصوم معًا بروح واحد "جعلنا له شعبًا مجتمعًا" (القداس الإلهي) حتى لا يصوم كل شخص كما يحلو له.. وقد لا يصوم مادام ليس هناك قافلة تسير معًا... بطقس وروح واحد.. وهذا لا يمنع بالطبع وجود تدبير خاص بين الشخص ومرشده الروحي، ولكن بشكل فردي وفي حدود ضيقة. أمّا من جهة مواعيد الأصوام الكنسية، فهي:

الصوم الكبير: ومدته خمسة وخمسون يومًا، نهايته أسبوع الآلام، مثلما صام السيد المسيح وعلَّمنا ضبط النفس وهزيمة الشيطان وتحمُّل التجارب.

يوما الأربعاء والجمعة: تذكارًا لخيانة يهوذا، وصلب رب المجد.

برمونا الميلاد والغطاس: وكل منهما يوم واحد استعدادًا لكل من العيدين.

الصوم الميلادي: ومدته ثلاثة وأربعون يومًا، فقد صام موسى النبي أربعين يومًا في انتظار الشريعة، وهنا تنتظر الكنيسة وصول المخلص وواضع الناموس نفسه.

صوم الآباء الرسل: وتختلف مدته من عام إلى عام بحسب موعد الفصح، ونصومه بحسب وصية الرب: « وَلكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ» (متى ٩: ١٥).

صوم السيدة العذراء: ومدته خمسة عشر يومًا، مثلما صام التلاميذ حتى ظهر لهم جسد القديسة الطاهرة مريم.

وعلى الرغم من وجود هذه الأصوام جميعها، فلا يُمنع أي شخص من أن يصوم أصوامًا أخرى على مستواه الشخصي أو مع آخرين، سواء من جهة النسك الزائد لبعض الرهبان والمتوحدين، أو من أجل طلبة أو احتياج معين أو نذر أو غيره على أن يكون ذلك بتدبير خاص من أب الاعتراف.

الرهبنة القبطية

وهي إحدى صور الكنيسة المجيدة، وإحدى علامات الأقباط. بدأت الرهبنة في مصر وعنها انتقلت إلى جميع أنحاء العالم، وبينما يرفض البعض فكرة الرهبنة فقد اتخذت الكنيسة القبطية من السيد المسيح نموذجها الرهباني الأول، باعتباره الراهب الأول ليس فقط لأنه عاش بتولاً على أرضنا وإنما أيضًا لأنه قضى قسمًا كبيرًا من الوقت في الجبال والبراري والمواضع الهادئة يختلي ويصلي، وقال عن هذا الطريق الملائكي بفمه الطاهر: «لأَنَّهُ يُوجَدُ خِصْيَانٌ وُلِدُوا هكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ» (متى ١٢:١٩). كذلك عاش يوحنا المعمدان ثلاثين سنة في البراري، وهكذا أيضًا مدح القديس بولس: «أَنِّي أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ النَّاسِ كَمَا أَنَا. لكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ لَهُ مَوْهِبَتُهُ الْخَاصَّةُ مِنَ اللهِ. الْوَاحِدُ هكَذَا وَالآخَرُ هكَذَا. وَلكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلأَرَامِلِ، إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا» (كورنثوس الأولى ٧:٧،٨)، كما قال: «إِذًا، مَنْ زَوَّجَ فَحَسَنًا يَفْعَلُ، وَمَنْ لاَ يُزَوِّجُ يَفْعَلُ أَحْسَنَ» (كورنثوس الأولى ٣٨:٧)، وأيضًا: «إِنَّ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَالْعَذْرَاءِ فَرْقًا: غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَدًا وَرُوحًا. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَتَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ تُرْضِي رَجُلَهَا» (كورنثوس الأولى ٣٤:٧)، وهو المنهج ذاته الذي عاش به القديس يوحنا الحبيب.

بدأت الرهبنة بشكل فردي حيث سكن البعض فرادى في أكواخ على أطراف قراهم، وهم الذين تتلمذ عليهم القديس أنطونيوس قبل أن يكوِّن أول جماعة رهبانية في التاريخ في فجر القرن الرابع (في صحراء مصر الشرقية)، وخلال سنوات قليلة أصبحت

صحاري مصر تعج بعشرات الآلاف من الرهبان والراهبات – واللائي سبقن الرهبان في هذا الطريق من خلال ما يسمى بـ"بيوت العذارى" – ومن مصر انتقلت الرهبنة إلى جميع أنحاء العالم من خلال تلاميذ القديس أنطونيوس نفسه. كما وجد الكثير من الأقباط في الرهبنة بديلاً للاستشهاد الذي توقف رسميًا منذ عصر قسطنطين الكبير.

والراهب هو الشخص الذي لم يستطع أن يحيا وصية المسيح بكاملها وهو في العالم فانطلق إلى البرية ليحقق ذلك، كما استطاع أن يسمو بعاطفته معطيًا كل اهتمامه ووقته للمسيح، ومع ذلك فقلبه منفتح على الناس يصلي لأجل العالم. وعندما تطلب إليه الكنيسة التواجد في حقل الرعاية فلن يتوانى عن ذلك، فقد ترك القديس أنطونيوس مغارته ونزل إلى الأسكندرية لتعضيد القديس أثناسيوس في كفاحة ضد الآريوسيين، كما شجع الشهداء في سجونهم.

والآن يوجد في الكنيسة القبطية حوالي ثلاثين ديرًا للرهبان والراهبات تحتضن المئات منهم وتنتشر عبر أنحاء الكرازة المرقسية في داخل وخارج مصر، وتُعتبر الأديرة من جهة أخرى أكثر الأماكن من جهة إقبال الشعب على زيارتها للتبرك والخلوة، كما أُعتُبرت صحاري مصر "الأرض المقدسة" بعد أورشليم لأنها ارتوت بدماء الآباء ودموعهم وعرقهم. ويوجد إقبال على الرهبنة الآن سواء من الشباب أو الشابات أكثر من أي وقت مضى منذ القرن الخامس والسادس الميلاديين.

ونشير هنا أن الكنيسة القبطية في حبها للرهبنة لم تقلل من شأن الزواج أو المتزوجين، بل إن الزواج فيها سر مقدس. ففي مفهوم الكنيسة القبطية الرهبنة والزواج هما طريقتان للسير في نفس الطريق الواحد، نحو الهدف الواحد؛ المسيح له المجد.

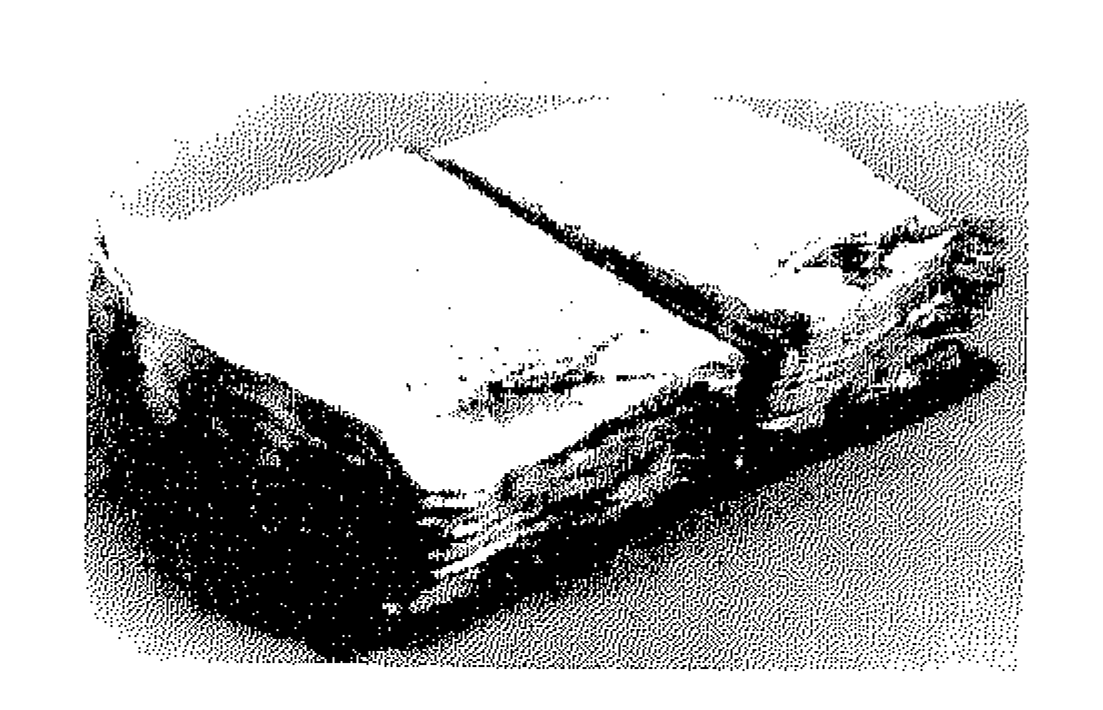
اللغة القبطية

تتمسك الكنيسة القبطية باللغة القبطية لأنها لغة أجدادها، وتُكتبت القبطية بحروف يونانية مضافًا إليها بعضًا من الحروف المصرية القديمة، وعُمل بها كلغة مستقلة لمسيحي مصر منذ القرن الثاني الميلادي، وكانت اللغة الرسمية بين المصريين ولكن اللغة العربية أُعلنت لغة رسمية للبلاد سنة ٧٠٦م. في عهد خلافة الوليد بن عبد الملك الأموي وولاية عبد الله بن عبد الملك، واضطر الأقباط إلى تعلم العربية حتى لا يفقدوا وظائفهم، وظهرت كتب تظهر فيها الكلمات العربية بحروف قبطية. وفي تطور آخر أمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في نهاية القرن العاشر بمنع التكلم بها مطلقًا، وحذا حذوه من جاء بعده حتى أصبحت اللغة قاصرة على العبادة في الكنائس. وفي القرون التالية بدأت الكنائس تفسر للمصلين القراءات باللغة العربية وبدأت تظهر كتابات لآباء الكنيسة باللغة العربية. ويتمسك الاقباط باللغة ليس على أساس عرقي ولكن لأن تراثهم وألحانهم وصلواتهم وُضعت بهذه اللغة، ولن تفي لغة أخرى بالتعبير عن فكر الكاتب الاصلي، بل إن اللحن عندما يُقال بلغة أخرى يفقد الكثير من خصائصة وحلاوته، كما أن هناك الكثير من المصطلحات إذا نقلت إلى لغات أخرى تظهر أضعف من الأصل. وللغة القبطية لهجات مثل الصعيدي، البحيري، الفيومي، الأخميمي وغيرها، واللهجة البحيرية هي المستخدمة الآن في كافة كنائس الكرازة المرقسية.

وظل الأقباط متمسكين بلغتهم على الأقل في منازلهم وفي كنائسهم، ويشهد المقريزي (المؤرخ المسلم) في القرن الخامس عشر الميلادي أن هناك نساء بالصعيد وأولادهن يتكلمون القبطية والرومية لا سيما أهل درنكة، ويفيد العالم ماسبيرو (في القرنين ١٩

و٢٠) عن جماعات مصرية في الصعيد تتكلم القبطية في القرن السادس عشر، وربما تكون قوص ونقادة آخر من تكلم القبطية كلغة حياة.

ولقد حافظت كل القوميات على لغاتها، اليهود حافظوا على العبرية رغم تشتتهم في جميع أنحاء العالم، والأرمن رغم تشريدهم من قبل الأتراك. والآن يوجد قسم للدراسات المصرية والقبطية في كثير من جامعات العالم، وفي مصر يوجد معهد اللغة القبطية، كما يوجد قسم لها في معهد الدراسات القبطية،، كما تدرَّس مادة اللغة القبطية في جميع فروع الكلية الإكليريكية بمصر والخارج، وتوجد كذلك مدارس قبطية في أمريكا وأوروبا وأستراليا وغيرها.



الألحان القبطية

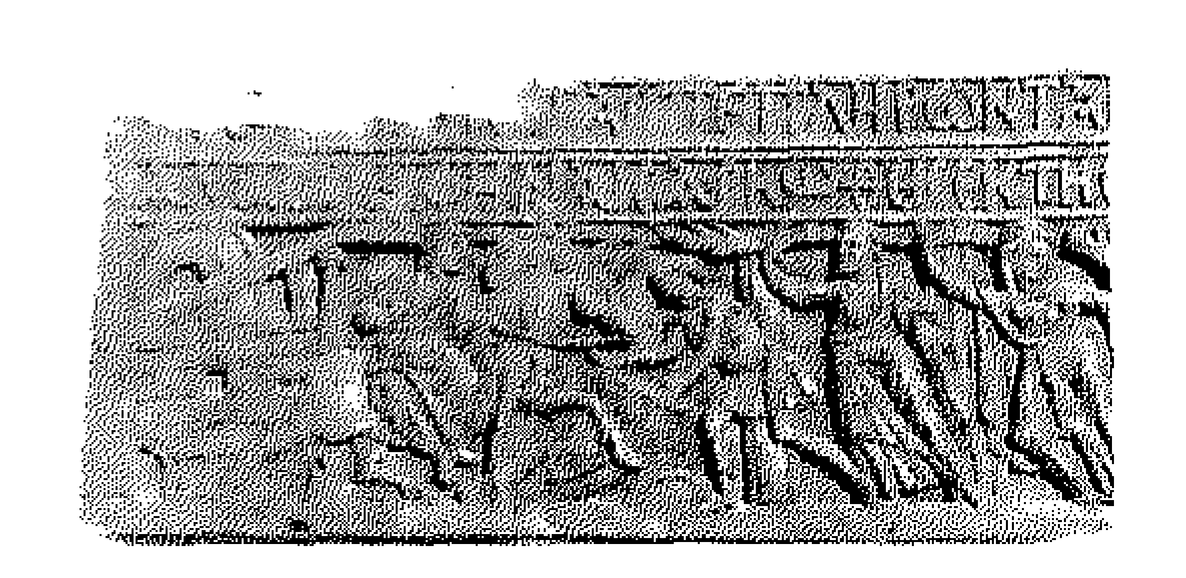
الألحان هي جانب رئيسي في العبادة فالقداس وبقية الخدمات جميع كلماتها ملحنة، النصوص الكبيرة تقرأ بجملة أو جملتين موسيقيتين، ولكن هناك بعض عبارات تعبّر عن حقيقة لاهوتية أو روحية، وُضعت في لحن كبير خصيصًا، ليعطي فرصة للتأمل من جهة، ويمكن من جهة أخرى أن تتغلغل العقيدة من خلاله إلى الوجدان والى القلب داخل الإنسان.

ورثت الكنيسة بعض موسيقى الألحان عن الفراعنة، والبعض عن اليهود، والقليل عن اليونان، إضافة إلى ألحانها الخاصة، ويؤكد العلماء أن التراث الموسيقي القبطي هو أعظم تراث موسيقي في العالم، من جهة قوة تأثيرة وتصوفه ورقيه وطابعه الجاد.

ولكل مناسبة في الكنيسة ألحانها الخاصة والتي تعبر عن الموسم أو المناسبة، ما بين اللحن الحزين، والمفرح، والعادي، حتى ارتبطت المناسبات بهذه الألحان. هذا ولا تقبل الكنيسة كل الترانيم الحديثة، بل ما كان منها موافقًا للعقيدة ولحنه رزين (مثل الإبصاليات فهي ترانيم مسجَّعة ومقفَّاة تحمل العقيدة)، رغم انتشارها الآن.

كذلك فإن موسيقى الكنيسة القبطية هي موسيقى صوتية لا آلية، وإن كانت تُستخدم أحيانًا آلتان بسيطتان هما الدُف (الصنج) والتريانتو لضبط الإيقاع فقط، حيث أن الألحان عندما تؤدى بالصوت فقط تكون أشد تأثيرًا.. لا سيما إذا أداها الخورس المدرَّب جيدًا فإنه يصبح لها تأثير يفوق الوصف، فعندما عرض خورس معهد الدراسات ألحانه في مصر وفي أوروبا لاقى استحسانًا كبيرًا من العلماء الغربيين.

والألحان مثلها مثل الأيقونة يمكن أن تخاطب كل الثقافات والأعمار، هذا والأصل أن جميع الكلمات ملحنة ولكن لضيق الوقت تؤدى بعض المقاطع دمجًا، ويمكن أن نعتبر أن جميع صلوات الكنيسة ملحنة، وهكذا نغني للرب ولكن أغاني روحية، هذا ولم توضع ألحان في الكنيسة باللغة العربية، ولكن منذ حوالي القرن من الزمان بدأ بعض المرتلين في تركيب بعض الألحان القبطية على الكلمات العربية ليستفيد عموم الشعب الذين لا يجيدون القبطية.



الأيقونات القبطية

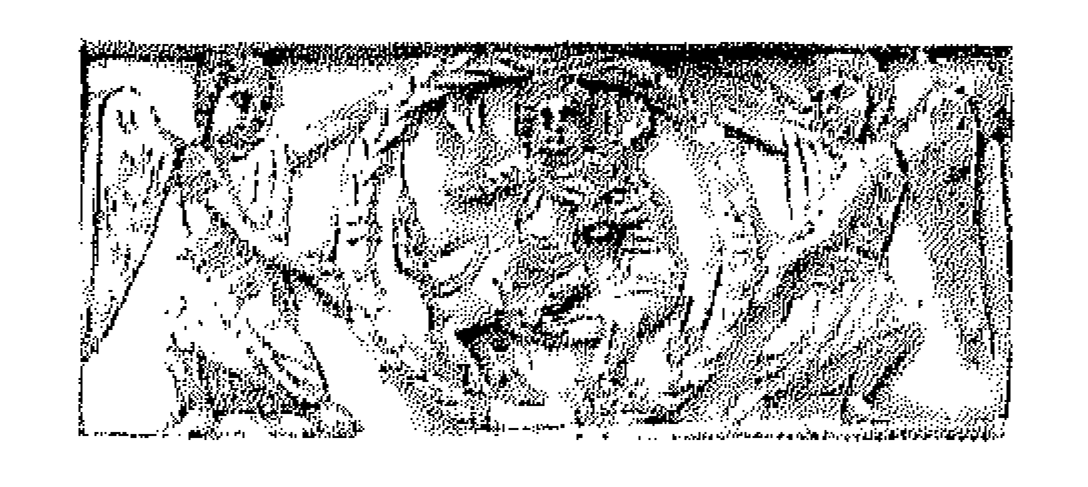
تفرّق الكنيسة بين الأيقونة والصورة والتمثال، ومع ذلك فهي لا تعبد أيًا منها، إنها لا تقبل بوجود التماثيل داخل الكنيسة، كما أنها لا تضع فيها الصور العادية وإنما الأيقونات فقط، ومع ذلك فالأيقونة أيضًا لها اشتراطات حتى تُقبل في الكنيسة. والفن القبطي هو فن رمزي له اشتراطات لاهوتية وكنسية، بل إن الفنان نفسه الذي يرسم الأيقونة له مواصفات خاصة، وبقدر ما يكون شخصًا كنسيًا تقيًا مصليًا، تأتي أيقونته معبرة ومؤثرة، والأيقونة بعد الموافقة عليها من الكنيسة تُدشن (تُخصَّص) بالميرون. وتصبح قطعة مقدسة مثل المذبح والأدوات.

الألوان والأبعاد لها مدولات، ترتيب المشاهد وتوزيعها، والأيقونة هي وسيلة إيضاح وتعليم لجميع شرائح الشعب: الصغار والكبار، الأميين والمثقفين، وحتى الصم.. والأيقونة تعبير عن التجسد الإلهي، فعندما خلق الله الإنسان على صورته أصبح الإنسان أيقونة الله، والحية النحاسية كانت أيقونة الصليب، بل إن رشم الصليب أيقونة، كما يمكن اعتبار العهد القديم برموزه أيقونة للعهد الجديد. كما تجمع الأيقونة بين ما هو إلهي وما هو بشري، وهي وسيلة لتمجيد الله الخالق، وهي تمجيد وترنيم في ألوان، أو شعر يؤدّى بالفرشاة، والعمق الأساسي الذي تقدمه الأيقونة هو السماء.

ومع أن القديس لوقا قد رسم أكثر من أيقونة للسيدة العذراء والسيد المسيح، إلاّ أن فن الأيقونة بدأ من القرن الثاني الميلادي من خلال الرموز التي رُسمت وحُفرت على جدران السراديب، ثم تصوير أحداث الإنجيل. وأُستُخدمت أسطح متعددة لهذا الفن مثل الجدران، الزجاج، الخشب، النسيج، العظام، الفخار، المعادن، الأحجار الكريمة،

وتطور الفن جدًا مع الوقت. وفي القرن الخامس أصبح لكل كنيسة طابعها الأيقوني الخاص الذي يميزها ويعكس (ويشرح) إيمانها، وقد تعرّضت الأيقونات في القرن الثامن لحرب شديدة بدعوى مخالفتها للشريعة، وأصاب الكثير منها التلف رغم قيمته الكبيرة، ولكن في القرن التالي عادت إليها كرامتها وتقديرها.

والآن ومنذ عشرات السنين يوجد قسم خاص بالأيقونات والفن القبطي في معهد الدراسات القبطية، بل اهتمت متاحف العالم به وخصصت له قاعات فيها، بل أُنشئت أقسام في بعض جامعات أوروبا لدراسة الفن القبطي، مثل هولندا وألمانيا وفرنسا.. إن الاشتياق الشديد للأصل أفرز وجود الأيقونة !!.



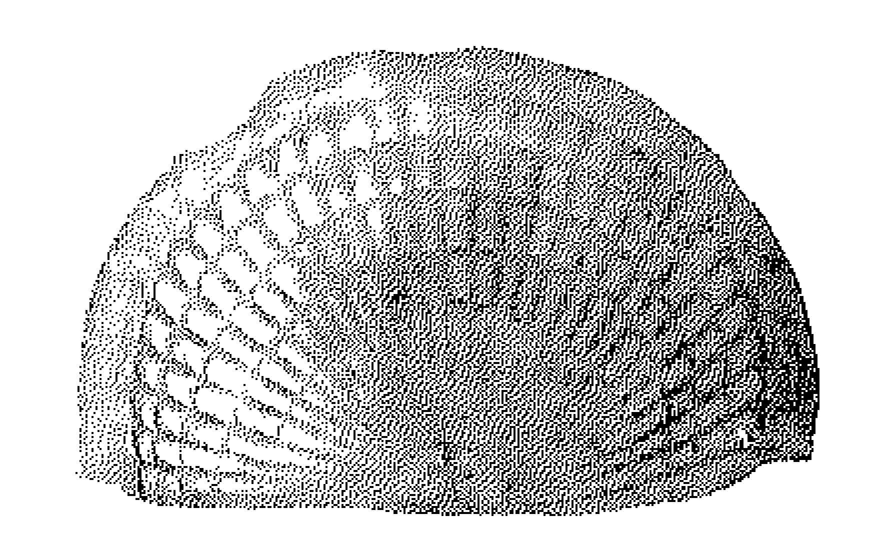
العمارة القبطية

تتميز عمارة الكنسية القبطية عن الكنائس الأخرى بالبساطة والطابع التخشُّعي، حيث كانت النماذج الأولى للكنائس في الأديرة أو المدن تتسم بالضخامة وصغر الفتحات والإضاءة الخافتة، مما يضفي طابعًا من الرهبة والخشوع على الكنيسة والمصلين، هذا وقد تأثرت العمارة القبطية كثيرًا بسابقتها الفرعونية في حين لم تتأثر بنظائرها البيزنطية أو الغربية، سواء من جهة التصميم الداخلي أو الشكل من الخارج، وبنظرة سريعة على كل من الأديرة القبطية في الصحاري والمعابد الفرعونية في الاقصر نجد تشابهًا كبيرًا بين الاثنين بدءًا من الألوان ومرورًا بالتقسيم الداخلي.

هذا وتتخذ مباني الكنائس القبطية أشكال السفينة أو الصليب، تعلوها القباب على شكل مخموس وتشير إلى السماء، والمنائر والتي تشير إلى أن البيت هو بيت المسيح والذي هو نور العالم، ويوضع في المنائر الأجراس والتي كانت تصنع في البداية من الخشب والآن من النحاس.

وأما تقسيمها من الداخل فعبارة عن الهيكل والصحن، يفصل بينهما حامل الأيقونات وهو عبارة عن مجموعة ضخمة من الأيقونات موضوعة على حامل من الخشب، وهو ليس حجابًا يفصل الهيكل، بل منظرًا سمائيًا، يشعر المصلي بأن الكنيسة قد أصبحت سماء وأن القديسين حاضرون معنا كسحابة من الشهود. ويُقام المذبح داخل الهيكل والذي ينتهي شرقا بحنية تسمى "حضن الآب" فيها صورة للمسيح على عرشه «اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ» (يوحنا ١: ١٨).

أمّا الصحن فهو مقسم إلى ثلاثة خوارس (أقسام) وفي وسط الخورس الأخير يوجد اللقان (المغسل) والذي يُستخدم ثلاث مرات في السنة (أعياد: الغطاس وخميس العهد وعيد الرسل)، كما توجد المعمودية إلى الشمال الغربي، كذلك يوجد الباب الرئيسي للكنيسة في الغرب ويُسمّى "الباب الملوكي".



الكنيسة القبطية هي أكثر كنيسة في العالم وفي التاريخ قدمت شهداء للمسيح، وما تزال حتى اليوم، وقد كان الاستشهاد وما يزال أعظم وسيلة كرازة بالمسيح بين الوثنيين، حتى قال العلامة ترتليان في دفاعه عن الإيمان المسيحي: "دماء الشهداء بذار الايمان"، بمعنى أن كل نقطة دم وقعت على الأرض أنبتت مئات الشهداء، وكان الأساقفة هم أوائل الذين قُتلوا من أجل المسيح حتى صرّح القديس بولس أن من اشتهى الأسقفية اشتهى عملاً صالحًا: «صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ: إِنِ ابْتَغَى أَحَدٌ الأُسْقُفِيَّةَ، فَيَشْتَهِي عَمَلاً صَالِحًا» (تيموثاوس الأولى ٣: ١)، وكما قدَّم المسيح دمه الثمين عن الكنيسة عروسه على الصليب، فقد قدمت هي وما تزال دمها لأجله "مات عنها فماتت لأجله حبًا فيه".

ويذخر تاريخ الكنيسة بأروع قصص الشهداء، لا سيما الأطفال الصغار، والأمهات اللائي شجعن أولادهن على الاستشهاد واستشهدن معهم، كذلك تسابق الناس على الاستشهاد وخروجهم في مواكب بالمئات وكأنهم ماضين إلى عرس أو إلى احتفال بأبهى ملابسهم، لدرجة كانت تثير عجب الحكام وجعلت بعضهم يؤمنون، بل لقد تحول أكبر معذب ومضطهد للأقباط إلى شهيد في الكنيسة وهو "أريانوس والي أنصنا".

ولم يكن الاستشهاد نوعًا من التعصُّب أو العرقية، لقد رفضت الكنيسة هذا الدافع، وإنما تبنَّت الشهيد كشخص شهد للمسيح بالكرازة عنه، ثم شهد له بأعماله، ثم ارتفع مستوى الشهادة ليصل إلى الدم، لذلك يقال أن القبطي شاهد وشهيد.. ولقد دفع الأقباط دمائهم الثمينة ببساطة وفرح من أجل إيمانهم أحيانًا، ومن أجل عقيدتهم أحيانًا أخرى، وذلك حين تعرضوا للاضطهاد من قبل الروم الذين حاولوا نشر العقيدة

الخلقيدونية في مصر بقوة السيف. حقًا إن من أجمل أوصاف الكنيسة القبطية أنها "كنيسة شهداء"، بل وتردد الكنيسة بفرح: "السنكسار ما يزال مفتوحًا".



الكنيسة القبطية والانفتاح على العالم

تبذل الكنيسة محاولات دؤوبة للانفتاح على الكنائس الأخرى والأديان الأخرى أيضًا والمجتمع والعالم بشكل عام، فالسيد المسيح طلب منا أن نكون نورًا للعالم وملحًا للأرض وسفراء عنه، ومنذ البداية والكنيسة تخرج كارزة إلى أنحاء العالم مثل فرنسا وأيرلندا وسويسرا والحبشة، وعلى فترات كانت تشهد نشاطًا لا بأس به في هذا الإطار، ولكن هذا النشاط ازداد باطراد خلال النصف الأخير من القرن العشرين، وقد أرسل البابا شنوده الثالث مئات من الأساقفة والرهبان والكهنة والأساتذة إلى جميع أنحاء العالم، حيث تأسست مئات الكنائس وتعرّف الكثيرون من خلالها على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، حتى أصبح من الممكن الإشارة إليها: "هذه الكائنة من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها". كما قدمت الكنيسة القبطية للعالم الكثير من العلماء والدارسين الأقباط في مجالات الأبحاث الكتابية واللاهوت والقبطيات، كذلك بهرت الألحان القبطية - التي قدمها معهد الدراسات القبطية في عدة مدن عالمية - الأجانب والذين اعتبروها أعرق الموسيقات العالمية.

ولا شك أن للبابا شنوده الثالث دورًا هامًا في نجاح هذه الحركة بسبب شخصيته الكاريزماتية، من جهة الحضور القوي له في اللقاءات المسكونية والمحلية سواء على المستوى الكنسي أو العالمي، فلم يترك قضية طُرحت على الساحة أو شغلت الرأي العام إلا وأدلى بدلوه فيها وعبّر عن رأي الكنيسة، مثل زراعة الأعضاء وأطفال الأنابيب والموت الرحيم والإجهاض وأبحاث الخلايا الجذعية والهندسة الوراثية وغيرها. كذلك كتبه المترجمة إلى لغات عديدة، بل لقد قام بأكثر من أربعين رحلة في جميع أنحاء العالم.

كما رأس مجلس الكنائس العالمي لفترة، ومجلس كنائس الشرق الأوسط لأكثر من دورة، وشارك في مجلس كنائس كل افريقيا وكذلك مجالس كنائس أوروبا وأمريكا وكندا وأستراليا، كما كوّن علاقات خاصة مع كنائس الشرق الأرثوذكسية لا سيما السريان والأرمن، وبعدها امتدت العلاقات إلى الهند وإريتريا وإثيوبيا وهكذا.

كذلك نظمت الكنيسة الكثير من الحوارات اللاهوتية مع الكنائس الأخرى، مثل الروم الأرثوذكس والكاثوليك والكنائس المصلَحة لتقريب وجهات النظر بخصوص الأمور المختلَف عليها. وقد أحرزت هذه الحوارات تقدمًا كبيرًا في هذا الإطار، وكلما توقف الحوار أعادت الكنيسة المحاولة. بل أكثر من ذلك جرت الكثير من الحوارات المسيحية الإسلامية لتكوين رأي واحد في الأمور المشتركة، وكذلك الاشتراك في مؤتمرات عالمية في نفس الإطار. وعلى الصعيد السياسي ما تزال الكنيسة تشدد على أهمية المشاركة السياسية وممارسة حق الانتخاب والترشح لمقاعد البرلمان، وتؤكد على ضرورة الخضوع للسلطات المدنية إلاّ فيما يخالف تعاليم الكتاب المقدس، كما كان موقف الكنيسة واضحًا بخصوص حق الشعب الفلسطيني في وطن مستقل.

والآن أصبحت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية معروفة عالميا ولها تمثيل قوي، فاجتذبت مئات من الرحالة والمستشرقين الذين شُغفوا بتراثها وتاريخها وآثارها، وهناك جامعات أنشأت داخلها أقسامًا خاصة للدراسات القبطية، هكذا لسنا منغلقين على أنفسنا ولسنا رافضين للآخر ولا نغلق عيوننا عما يدور حولنا.

«أُخَبِّرُ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ»

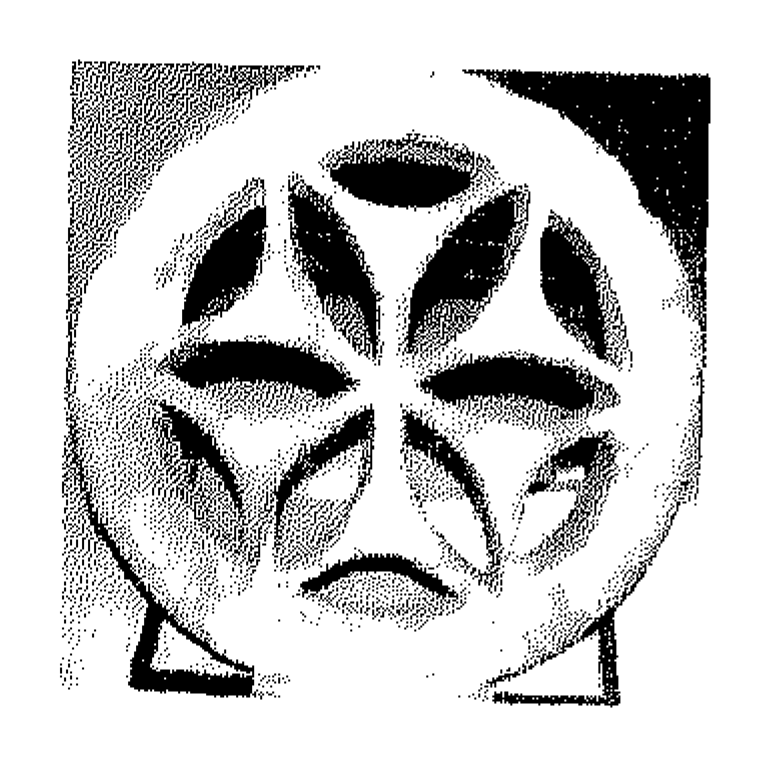
(عبرانيين ٢: ١٢)



هذه بعض من ملامح الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، عرضناها باختصار شديد ليتمكن أي شخص من التعرف عليها ببساطة، ولم يكن الهدف هو نقاش حول الخلافات بين الأديان أو الكنائس، وإنما مجرد عرض بسيط وسريع لها، وهو الأمر الذي يُطلق عليه في الكنائس الاخرى لفظة: "كاتشيزم" وهي الكلمة التي تعني عظة أو خطاب.

الرب يبارك كل عمل لمجد اسمه القدوس، بصلوات أبينا المكرم البابا البطريرك الأنبا شنوده الثالث، بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، وشريكه في الخدمة الرسولية نيافة الحبر الجليل الأنبا أرسانيوس مطران المنيا وأبوقرقاص.

سلامًا وبنيانًا لكنيسة الله الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية. آمين.



ملحق ١ الكنيسة القبطية في سطور

٦١م دخول مار مرقس مصر.

٦٨م استشهاد مار مرقس.

٢٥٠-٢٦٠م اضطهاد داكيوس.

٢٦١م عقد مجمع الإسكندرية لحرم سابيليوس (الذي أنكر الأقانيم الثلاثة).

٢٨٤م تولي دقلديانوس الحكم، بداية للتقويم القبطي (الشهداء).

٢٨٥م الأنبا أنطونيوس يعتزل العالم – بداية الرهبنة.

٣١١م استشهاد البابا بطرس خاتم الشهداء على يد مكسيميان.

٣١٣م الإمبراطور قسطنطين الكبير يصدر منشور ميلان للتسامح الديني وينتهي عصر الشهداء.

٣٢٥م المجمع المسكوني الأول بنيقية لمناقشة بدعة آريوس وحضره ٣١٨ أسقفًا ووضع قانون الإيمان.

٣٢٨م البابا أثناسيوس يعتلي الكرسي المرقسي

٣٨١م المجمع المسكوني الثاني بالقسطنطينية لمناقشة بدعتي مقدونيوس وأبوليناريوس وحضره ١٥٠ أسقفًا واستكمال قانون الإيمان.

٣٩٢م	الإمبراطور ثيئودوسيوس الكبير يعلن المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية.
٤٣١م	المجمع المسكوني الثالث بأفسس لمناقشة بدعة نسطور وحضره ٢٠٠ أسقف
٤٥١م	مجمع خلقدونية والانشقاق ونفي البابا ديسقوروس.
٥١٨م	تولي يوستنيانوس القيصر المُلك والذي حاول استمالة الأقباط والسريان للعقيدة الخلقيدونية ثم اضطهدهم بعد ذلك.
	هرب القديس ساويرس الأنطاكي لمصر.
٦٢٩م	الإمبراطور هرقل يسترد مصر والأراضي المقدسة من الفُرس.
٦٣٩م	دخول العرب – بقيادة عمرو بن العاص – مصر.
٦٥٨-٧٠٥م	حكم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، والذي أمر بتعريب الدواوين.
٧٢٥م	ثورة المصريين نتيجة الظلم الواقع عليهم.
٧٤٩م	ثورة البشامرة الأولى.
٨٣٢م	ثورة البشامرة الثانية في حُكم المأمون بن هارون الرشيد، وتُعتبر آخر ثورات الأقباط.
٨٥٢م	محاولة البيزنطيين لاسترداد مصر والذي آل ذلك إلي ضرر كبير للمصريين نتيجة خوف الوالي من مساندتهم للروم.
٨٧٠م	خلافة أحمد بن طولون الذي اضطهد الأقباط وبطريركهم.

٨٨٤م	ولاية خمارويه بن أحمد بن طولون والذي كان صديقاً لأنبا باخوم أسقف طحا، فأحسن إلى الأقباط ورفع عنهم الجزية.
٩٦٩م	المعز لدين الله الفاطمي يغزو مصر. إنشاء مدينة القاهرة.
٩٩٦-١٠٢١م	خلافة الحاكم بأمر الله واضطهاده للأقباط وأهل السُنَّة.
القرن الـ١٢	بدء تعريب الصلوات والقراءات في القداس.
١١٦١م	صلاح الدين الأيوبي يحكم مصر، ويلزم الأقباط بوضع علامات تميزهم.
القرنان الـ١٣ و١٤	العصر الذهبي للتراث العربي المسيحي
١٢٣٥-١٢٤٣م	البابا كيرلس الثالث، ومجموعة قوانين كنسية جديدة.
١٢٥٠-١٥١٧م	الحكم المملوكي وموجات متتابعة من الاضطهاد وهدم الكنائس.
١٤٠٩-١٤٢٧م	البابا غبريال الخامس (٨٨) وعدد من التنظيمات الطقسية.
١٥١٧م	مصر ولاية عثمانية. وانحدار عام في كل أحوال مصر!
١٦٦٤-١٦٦٥م	رحلة "فَنْسلِب" الأولى لمصر (في طريقه للحبشة) – بداية الاهتمام الأوروبي بمخطوطات الكنيسة القبطية.
١٦٧٢-١٦٧٤م	رحلة "فَنْسلِب" الثانية لمصر لشراء مخطوطات كنسية قبطية.
١٧٣٦-١٧٦٤م	روفائيل الطوخي يطبع الكتب الطقسية للكنيسة القبطية لأول مرة في روما.
١٧٩٨-١٨٠١م	الحملة الفرنسية على مصر.
١٨٠٥-١٨٤٥م	محمد علي باشا يتولى حكم مصر.
١٨٥٤-١٨٦١م	جلوس البابا كيرلس الرابع (١١٠) الملقب بأبي الإصلاح.

١٨٥٥م إلغاء الجزية من علي الأقباط في عهد الوالي محمد سعيد باشا.

١٨٧٤م تأسيس المجلس الملي العام.

١٨٧٥م إعادة إنشاء الكلية الإكليريكية.

١٨٨٢م الاحتلال الإنجليزي لمصر.

١٩٠٨م مرقس سميكة باشا ينشئ المتحف القبطي بمصر القديمة.

١٩١٠م حبيب جرجس يؤسس مدارس الأحد.

١٩٥٤م إنشاء المعهد العالي للدراسات القبطية.

١٩٥٩م إعتلاء البابا كيرلس السادس (١١٦) الكرسي المرقسي.

١٩٦٨م ظهور السيدة العذراء متجلية علي قباب كنيستها بالزيتون، وعودة رفات مارمرقس لمصر، وافتتاح الكاتدرائية المرقسية بأرض الأنبا رويس بالعباسية.

١٩٧١م نياحة البابا كيرلس السادس واعتلاء البابا شنوده الثالث (١١٧) الكرسي المرقسي.

١٩٧٣م عودة رفات البابا أثناسيوس لمصر.

١٩٨١م البابا شنوده الثالث يطبخ الميرون لأول مرة.

٢٠٠٨م البابا شنوده الثالث يطبخ الميرون للمرة السابعة.

٢٠١٠م وقوف الكنيسة بقوة ضد حكم المحكمة الإدارية العليا بإلزام الكنيسة بتزويج المطلقين.

ملحق ٢ مراجع منتقاة للاستزادة

وإليك مجموعة من الكتب المتوفرة حاليًا بالمكتبات القبطية، يمكن للقارئ الرجوع إليها للاستزادة.

❖ في الكتاب المقدس:

- القمص تادرس يعقوب ملطي، «من تأملات وأقوال الآباء الأولين»، مجموعة كتب للعهدين.
- الأنبا مكاريوس، «دراسات في الأسفار القانونية الثانية»، مجموعة كتب.
- «دائرة المعارف الكتابية»، عدة أجزاء.
- «قاموس الكتاب المقدس».

❖ في اللاهوت والعقيدة:

- البابا أثناسيوس الرسولي، «تجسد الكلمة»، ترجمة د/ جوزيف موريس.
- البابا شنودة الثالث، «لاهوت المسيح».
- البابا شنودة الثالث، «طبيعة المسيح».
- البابا شنودة الثالث، «الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي».
- المتنيح الأنبا يوأنس، «عقيدة المسيحيين في المسيح».
- المتنيح الأنبا يوأنس، «إيماننا الأقدس».
- د/ موريس تاوضروس، «علم اللاهوت العقيدي».

- القمص كيرلس الأنطوني، «عصر المجامع».

❖ **في تاريخ الكنيسة:**

- المتنيح الأنبا يوأنس، «الكنيسة في عصر الرسل».
- المتنيح الأنبا يوأنس، «الاستشهاد في المسيحية».
- القمص منسى يوحنا، «تاريخ الكنيسة القبطية».
- الأسقف إيسيذوروس، «الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة» (جزءان).

❖ **في اللاهوت الروحي:**

- «بستان الرهبان».
- البابا شنوده الثالث، «انطلاق الروح».
- البابا شنوده الثالث، «حياة التوبة والنقاوة».
- البابا شنوده الثالث، «معالم الطريق الروحي».
- المتنيح الأنبا يوأنس، «بستان الروح» (٣ أجزاء).
- المتنيح الأنبا يوأنس، «السماء».

❖ **في الطقوس:**

- المتنيح القمص منقريوس عوض الله، «منارة الأقداس» (عدة أجزاء).
- المتنيح الأنبا يوأنس، «العبادة في كنيستنا دلالتها وروحانيتها».
- حبيب جرجس، «أسرار الكنيسة السبعة».

فهرس

معظم الصور الداخلية الموجودة في هذا الكتاب هي لمجموعة من القطع الأثرية القبطية المحفوظة في المتحف القبطي بمصر القديمة. هذه المجموعة من الصور كان قد أهداها لنا الباحث الأثري المرحوم جرجس داود في إطار المؤتمر الأول للقبطيات الذي نظمته إيبارشية المنيا وأبوقرقاص في سبتمبر ٢٠٠٩.

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

أسسها القديس مرقس الإنجيلي،

وهي كنيسة لاهوت ونُسك وعِلم وليتورجيا

وشهداء، قادت العالم لاهوتيًا لقرون،

وماتزال الحصن المنيع أمام التيارات الفكرية

الغريبة، تلتزم الكتاب المقدس والتقليد،

لها تراثها وفنونها وطقوسها، لم تحد حتى الآن

عن الإيمان المسلَّم إليها مرة (يهوذا ١: ٣)،

منفتحة على الآخر، مندمجة في المجتمع،

شاهدة للمسيح.